بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
-قسنطينة-

كلية أصول الدين والشريعة
والحضارة الإسلامية
قسم العقيدة ومقارنة الأديان
مقارنة الأديان

منهج الجاحظ في الرد على النصارى

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في مقارنة الأديان

إعداد الطالب:
- عبد الكريم سباغ.

إشراف الدكتور:
محمد بوروايح

السنة الجامعية: 2004 - 1425/2005-1426هـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

إلى اللذين زرعا في نفسي بذرة حب طلب العلم وربياني صغيرا وأمداني بحنانهما وعطفهما الذي لا ينضب . . .

والدي الكريمين

إلى أفراد عائلتي الذين لم يوقفوا شلالات دعمهم وتشجيعهم عني

أخي وزوجه المصون

إلى التي سربلتني وشاح ثقتها ، وزرعت دروبي أماني وآمالا ، وهزت كياني بطول أناتها وتفانيها لتنشر في روابي عمري شذى وعطرا فواحا . . .

زوجي الحبيبة

إلى الذين عطروا فضاء الجزائر بعبير رسالاتهم ، وساروا مع قافلة النور يشقون الليل بصيحاتهم ينشدون الحقيقة في صفحات التاريخ ، ويضيئون الدرب الموحش بصبرهم وثباتهم ، ويذيبون جليد الجهل بإيمانهم وعزائمهم . . . إلى نماذج القدوات . . . إلى طلائع العلم . . إلى أساتذتي وعلى رأسهم أستاذي المشرف الذي أدين له بالكثير من قبل ومن بعد . . .

أهدي باكورة تعبي وثمرة عنائي

شكر وتقدير :

عرفانا مني بالجميل وتقديرا للجهود التي بذلوها في سبيل إنجازي هذا البحث أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من :

- أستاذي المحترم الدكتور محمد بو الرواح الذي كان مددا وعونا لي في كل مراحل البحث تصويبا وتوجيها ، ونبراسا هاديا .
- الدكتور قطش مختار على دعمه وتشجيعه المتواصل .
- أساتذتي الأفاضل : كمال معزي ، آسية شكيرب ، عبد الوهاب فرحات على مساعداتهم .
- أصدقائي الأعزاء الذين لم يبخلوا علي بتشجيعاتهم .
- إلى كل من مد يد العون لي ولو بكلمة .

فجازى الله هؤلاء جميعا عني خير الجزاء

عبد الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُقَدِّمَةٌ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توالى رسل الله جميعا يدعون الناس إلى حقيقة التوحيد وشعارهم واحد:" **اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ منْ إلَه غَيْرُهُ**"[1]، ورسالة عيسى –عليه السلام- واحدة من رسالات الأنبياء الداعية إلى توحيد الله وإفراده-جل شأنه- بالعبادة وتنزيهه عن كل معاني الشرك، لكن سرعان ما تعرضت رسالته التوحيدية النقية الخالصة للتبديل والإضافات الوثنية، وكان لابد من تجلية هذا التحريف والكشف عن مواطنه وتحذير المسلمين من الوقوع فيه كما وقع هؤلاء المنحرفون، وتبصير النصارى أنفسهم ليدركوا حقيقة ما هم عليه من ضلال وما هم فيه من أوهام.

وقد تحقق ذلك من خلال المجهودات التي قام بها علماء المسلمين في مجال الدعوة إلى الإسلام والدراسات المقارنة بين الأديان وقد كان اهتمامهم بدراسة الأديان بإيعاز مباشر من القرآن الكريم باعتباره الوثيقة الصحيحة الوحيدة التي تتضمن حقيقة الدين النصراني وغيره من رسالات الأنبياء –عليهم السلام- فقاموا بالبحث في مصادر النصارى الأصلية أو ما يسمى الكتب القديمة، وألفوا فصولا مطولة في مصنفاتهم اعتمدوا فيها الجدل الموضوعي المرتكز على الأسس العلمية التي تعتمد على استقراء نصوص هده المصادر ودراستها دراسة علمية مقارنة، لتفنيد مزاعم اليهود والنصارى وأصحاب المذاهب الوضعية.

وكان من بين هؤلاء المسلمين عمرو بن بحر الجاحظ بدراساته التي تكشف لنا عن المناخ الجدلي بين النصارى والمسلمين، وفي الآن نفسه تبرز مقدرته وكفايته للاضطلاع بهده المهمة الشاقة، وتؤكد رغبته الوثيقة في الدفاع عن الإسلام لتحصين المجتمع الإسلامي فكريا وعقديا بتفنيد أقوال النصارى وكشف نواياهم وأغراضهم باتخاذ المواجهة أسلوبا في ذلك.

وفي هذا المجال تأتي دراستي التي اخترت لها عنوان " **منهج الجاحظ في الرد على النصارى**" للتعريف بمنهج واحد من أهم علمائنا القدامى في ردهم على العقائد النصرانية.

---

[1] الأعراف 59.

أهمية الموضوع:

إنّ دراسة العقيدة النصرانية ونقدها موضوع على جانب كبير من الأهمية ولذلك فقد حظي باهتمام علماء الإسلام قديما وحديثا، وتمثل هذا الاهتمام في تلك الردود التي اتخذت شكل مناظرات وأفردت لها مؤلفات جديرة بالدراسة والنقد. من أهم تلك الردود ما قام به الجاحظ من نقد لعقيدة النصارى والرد على معتنقيها كما تكشف عنه رسالته الشهيرة " المختار في الرد على النصارى " إضافة إلى ما تناثر في باقي مصنفاته، ولعل أهمية ردود الجاحظ على النصارى تكمن في تكوينها لمنهج نقدي جدير بالدراسة. ولا شك أن الإطلاع على معالم هذا المنهج الذي وضعه الجاحظ يوقفنا على كثير من الحقائق المتعلقة بموضوعية النقد الإسلامي للنصرانية وشموليته وقدرته على دحض العقائد النصرانية.

أسباب اختيار الموضوع:

قلّما عرف العالم الإسلامي موسوعيا بلغ ما بلغه الجاحظ من غزارة في المادة، وتنوع في مجالات العلم والإبداع، ولا جرم أن دراسات كثيرة وضعت في هذا التراث لخصوصيته وقيمته، ولاشك أن كل دراسة توقفت عند ناحية معينة لدى الجاحظ إلا أن الدراسات التي تعرضت له أغفلت مجهوداته في الرد على النصارى، نستثني من ذلك دراسات اهتمت به عرضا من قبيل الاستشهاد في الردود على النصارى و لم تكشف عن أعماق منهجه ودون أن يفردوه ببحث مستقل لذلك كان منهجه في الرد على النصارى جديرا بالدراسة والتعمق والتحليل، إضافة إلى أسباب أخرى:

1-عصر الجاحظ يمثل مرحلة مهمة في تاريخ الأمة الإسلامية عموما والدولة العباسية خصوصا إذ إنها تعرضت لعدة تيارات سياسية كان النصارى أقوى هذه التيارات بسبب الحرية الدينية التي تمتعوا بها سمحت لهم بان يحتلوا مناصب مرموقة في بلاط الحكام والأمراء.

2-كان الجاحظ قد اختير للرد على النصارى حيث كان يعد من أوائل علماء الإسلام والاعتزال خصوصا والذين كان لهم موقف من النصارى.

3-علم مقارنة الأديان رغم الكتابة فيه إلا أنه ما يزال بكرا يشجع على البحث فيه نظرا لأهميته.

الأهداف

إن الفكر الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة قد انفتح على أديان العالم وجعلها موضوعا للدراسة والبحث، ووضع العلماء لذلك مناهج علمية وصفوا بها هذه الأديان وحللوها وقارنوا بينها وانتقدوها، إلا أن هذه المناهج اختلفت فيما بينها فكان هذا دافعا لمعرفتها خاصة وأنها تعكس جهودهم في نقدهم للأديان عامة والدين النصراني خاصة، والجاحظ واحد من بينهم كان له موقف من النصارى وعقائدهم لذلك كان الهدف من دراسة منهجه.

أ- إبراز موقف الجاحظ من النصارى في عصره.

ب- إيجاد الملامح العامة التي تشكل فيها رد الجاحظ على النصارى، والمنابع التي أمدته بأصول منهجه، والطرق التي وظفها في الرد.

ج - معرفة ما إذا تميز الجاحظ عن غيره ممن اعتنوا بنقد الأديان، والى أي حّد وفق في رده على النصارى.

د - تقييم ردود الجاحظ على النصارى وأثرها في الدراسات النقدية من بعده.

3-الإشكالية:

لما كان موضوع الدراسة منهج الجاحظ في الرد على النصارى فإن هده الدراسة تنطوي على خصائص لا تتفق ولا تتحدد الإشكالية إلا على ضوئها، ويمكن بيانها على النحو الآتي:

٠ - لقد ذكر كثير من أهل التحقيق أن الجاحظ يمتلك قدرات عقلية قلما تجتمع في مفكر واحد، وهذه القدرات تتمثل في سعة علمه، ورحابة فكرة وحصافة عقله، والتي جعلته يتبوأ مكانة في النقد الديني، وقد عبر كثير من النقاد على هذا بالشخصية العلمية التي يتمتع بها الجاحظ وهذا الأمر له أهمية في بيان طبيعة إشكالية الموضوع.

فالإشكالية في الموضوعات النقدية لا تتحدد إلا بمعرفة الموارد الفكرية للشخصية العلمية محلّ الدراسة، أو للمنهج الذي يميزه ويشكل مواقفه الفكرية، وتنوع الموارد الفكرية عند الجاحظ جعل منهجه متنوعا في الموضوعات العقدية المختلفة، وبخاصة الموضوعات التي تفرض نوعا من الاختلاف العقدي الجوهري بين العقائد، وينبغي وضع هذا الخلاف في الحسبان، فهل هذا التنوع في الموارد الفكرية عند الجاحظ أدّى إلى تنوع المنهج ؟ وإن كان كذلك فهل أنساه ضرورة إتباع الطرائق الموضوعية في جدال خصمه؟.

إن إشكالية هذا الموضوع تتحدد على ضوء المعرفة الكاملة لهذا المنهج العقلي، فهل استطاع الجاحظ أن يحقق مراده ؟ وأن يفحم خصمه باعتماده على العقل؟ أم لم تستطع هذه المقولات الاصطلاحية أن تحقق ذلك قليلة كانت أم كثيرة.

إن الرد على النصارى عند الجاحظ يتركز في رسالته الشهيرة " المختار في الرد على النصارى" ومعرفة طبيعة هذه الرسالة يحدد الموقف منها، وطبيعة التعامل معها فهي من قبيل المخطوط العلمي التراثي، وهناك موقف متميز لدى النقاد والدارسين من هذا النوع من المخطوطات، وبيان النسخ المختلفة لهذا المخطوط، وبيان أوجه الاختلاف والاتفاق بينهما يعين أكثر على تحديد طبيعة المخطوط التراثي وتجنّب كثير من النقول التي لا تستند إلى أساس تاريخي، ورأي علمي يمكن أن يوثق به أو يطمأن إليه.

لقد ذكر كثير من الدراسات التاريخية أن الجاحظ عاش في مرحلة عرفت بالاضطراب الفكري وشيوع كثير من الاعتقادات التي تتنافى مع أصول العقيدة الصحيحة، وتأتى في مقدمة هذه الاعتقادات العقيدة النصرانية،ولذلك فإن مواجهة هذه العقيدة تحتم الإلمام-قدر الإمكان-بأصولها وحتى ببعض فروعها.

· ولقد استفاد الجاحظ كثيرا من هذه المعتقدات التي شاعت في عصره واستطاع أن يستدل عليها باستدلالات كثيرة لا تخرج عن الراجح العام الذي استقرت حوله آراء العلماء والنقاد.

ولذا فإن إشكالية الموضوع تؤخذ من كل هذه المبادئ المنهجية التي تشكل في مجموعها منهج الجاحظ، وعلى ذلك تأتي الفرضيات التي تحتمها الإشكالية وتبنى تبعا لها،

وترصد الحلول التي تحسمها القضايا العقدية والمسائل الخلافية، وهي كثيرة في فكر الجاحظ وردوده الكلامية.

المنهج المتبع في الدراسة

إن المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي التحليلي، بغرض استقراء النصوص ومعرفة أسسها وأغراضها، ثم تحليلها لاستنباط القضايا محل البحث وتحليل مضامينها مع الاستعانة بالمنهج التاريخي في تحليل بعض القضايا العقدية آخذا من فكر الجاحظ في الرد على النصارى مع استخدام المنهج المقارن لإبراز أوجه الاختلاف والتشابه بين النصرانية والأديان والمذاهب الأخرى، وكله بغرض فهم مقاصد الجاحظ الذي اعتنينا بآثاره لنبني المرجعية التي يستند إليها في ردوده.

الدراسات السابقة

من بين آثار الجاحظ التي تعنى بالردود على النصارى، والتي كان لها صدى عميقا في مجال الحقل الديني والدراسات النقدية، مخطوطة المختار في الرد على النصارى،حيث حظيت باهتمام كبير من أهل التحقيق،ومن الدراسات الرائدة في هذا المجال ما قام به الدكتور محمد شامة الذي قدم دراسة أكاديمية تكاد تكون غير مسبوقة إذا قورنت بما قام به أسلافه ومعاصروه على حد سواء، ويتلخص منهجه في التحقيق كما يأتي.

-اعتماد النسخة الأصلية للمخطوط واشفاعها بالنسخ القياسية الأخرى مع الإبقاء على المتن والحرص على شكل وموضوع المخطوطة.

-التنويه والاعتماد على بعض الدراسات التحقيقية السابقة، والاستفادة من منهجها في العرض والتقييم.

. -ذكر مآخذ النقاد على منهج الجاحظ في نقد العقائد والأديان.

وموضوع منهج الجاحظ في الرد على النصارى بالخطة التي بني عليها هذا البحث ليس موجودا في أي بحث أكاديمي-حسب علمي-

خطة البحث

إن الدارسين منذ أمد طويل انتهوا إلى تأكيد مدى ترابط الإنسان ببيئته، ومدى تفاعله مع الوسط الذي يعايشه، ولهذا فليست دراسة عصر الجاحظ وحياته شيء من نافلة القول لاسيما إذا عرفنا أن عصره العباسي من أغنى العصور التاريخية وأعنفها، ومن ذلك جاءت دراسة منهج الجاحظ في الرد على النصارى لب البحث وغايته ولتوضح بالتحليل والتعمق مجهوداته في ميدان الردود على النصارى.

ولأجل ذلك فالدراسة قد انقسمت إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمه أتت بعدها مصادر البحث ومراجعه.

المقدمة اشتملت على آفاق الدراسة حددت فيها نطاق البحث ومدلوله وهذا لإيضاح سبب دخول الجاحظ في جدال النصارى.

أما الفصل **الأول** فقسمته إلى مبحثين.

الأول: تناولت فيه عصر الجاحظ بحالاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعلمية مشيرا إلى مؤثرات هذه الحالات على مجتمع الجاحظ، وهذه الأخيرة يغلب عليها طابع الإيجاز بالقدر الذي لا يخل بقيمة البحث وهي مصدرة بتمهيد بين البعث على دراستها تعكس لنا عصر الجاحظ الجامع للأضداد المتسم بالفتن والاضطراب في شتى المجالات نتيجة الاختلاط الجنسي والتلاقح الفكري مما جعل هذا العصر عصر تقدم وازدهار وعصر عنف أيضا، تمثله الجاحظ فتصور في ذاته وكتبه التي أبرزت مكانته العلمية والفكرية والنقدية.

أما المبحث الثاني: تحدثت فيه عن حياته وأصله وأسرته ومولده وما يتبع هذا كالاسم والكنية واللقب ودماثة الخلقة وعن نشأته في البصرة وحياته في بغداد وأيضا كان لا بد من الحديث عن أساتذته وشهرته ورحلاته ومذهبه وصلاته ومؤلفاته وأخيرا وفاته.

وكل هذا بإيجاز لا يخل بالغرض المنشود.

– الفصل الأول:الدراسة في هذا الفصل انطوت على المصادر الدينية للنصارى لأن أي دراسة لعقائدهم لابد أن تنطلق من هذه المصادر وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث.

الأول :جاء كمدخل للحديث عن منهج الجاحظ في الرد على النصارى تناولت فيه الخصائص التي سمحت له باتخاذ موقف من النصارى ، وسبب اهتمامه بالعقيدة النصرانية والرد عليها .

الثاني :تناولت فيه التعريف بمصادر النصارى وأصلها وتاريخها وهي الأناجيل الأربعة التي تعرض لها الجاحظ بالدراسة والنقد مبينا نسبة كل انجيل إلى صاحبه وتاريخ تدوينه والخلاف حوله أي مدى صحة كل إنجيل.

الثالث: تناولت فيه منهج الجاحظ في الرد على المصادر المسيحية التي اعتنى بنقد سندها ومتنها، حيث قمنا بعرض طريقته في نقد سند الأناجيل لمعرفة الآليات التي استخدمها في ذلك انطلاقا من الطعن في رواة هذه الأناجيل وعدم نسبتها إلى أصحابها مع انقطاع سندها وتناقضها. كذلك عرض كيفية نقد الجاحظ لمضمون الأناجيل والأدلة التي وظفها ليميز بين صحيح المتن و زائفه.

الفصل الثاني وهو منهج الجاحظ في الرد على عقيدة التثليث وقد احتوى على مبحثين.

الأول: تناولت فيه الجانب التاريخي لعقيدة التثليث عند النصارى مشيرا إلى اثر الديانات الوثنية في القول بعقيدة التثليث عند النصارى.

ثم الحديث عن الخلاف حول عقيدة التثليث بين النصارى وسبب هذا الخلاف الذي أدى إلى انقسامهم.

الثاني: عرضت فيه منهج الجاحظ في الرد على عقيدة التثليث القائلة بألوهية الأب والابن والروح القد س وهي عنده لا يمكن أن تقوم لها قائمة عند البحث والتمحيص لأنها تقوم على مغالطات كثيرة، لذلك فهو يبين أن النصارى قد ضلوا في عقيدتهم هذه ،و يبطل استدلالهم على القول بصحتها داحضا ما فيها من أباطيل وسوء الفهم ومبينا أنه لا حجة لهم في كل ما احتجوا به، بل هو حجة عليهم، وقد كشفنا عن طريقته والوسائل التي استخدمها في الرد على قول النصارى في الألوهية والبنوة والروح القدس.

الفصل الرابع: منهج الجاحظ في الرد على المسيحولوجية النصرانية قسمته إلى مبحثين:

الأول: منهج الجاحظ فى الرد على عقيدة التجسيد تناولت فيه الحديث عن أصل ونشأة هذه العقيدة فى الديانة النصرانية ، وأثر الوثنيات القديمة في القول بها،ثم تطرقت إلى أنواع المسيحولوجيا مشيرا إلى أهم الفرق النصرانية التي دار الخلاف بينها حول هذه العقيدة.

وأخيرا منهج الجاحظ فى الرد على عقيدة التجسيد عرضت فيه طريقته فى الرد على النصارى وإبطال هذه العقيدة.

الثاني: منهج الجاحظ فى الرد على عقيدة الصلب والفداء: تحدثت فيه عن الأصول التاريخية لعقيدة الصلب ونشأتها وأثر الوثنيات القديمة فيها ، وعن الخلاف الدائر حولها بين فرق النصارى المشهورة، وكذلك اختلاف مصادرهم، وأثر بولس فى القول بعقيدة الصلب عند النصارى، ثم تطرقت فيه إلى عرض أقوال الجاحظ فى هذه العقيدة وطريقته فى الرد عليهم.

ومن الطبيعي أن تكون للبحث خاتمة وقد أحاطت بخلاصة الدراسة وثمارها.

نقد المصادر والمراجع :

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مصادر ومراجع متنوعة تمثلت في :

-كتب الجاحظ التي أفدت منها بنقل النصوص المتضمنة لردوده على النصارى ومنها : كتاب " المختار في الرد على النصارى ".

-كتب في مقارنة الأديان منها :"المسيحية " لأحمد شلبي ، و "محاضرات في النصرانية" لمحمد أبو زهرة . التي أمدّتني بمادة علمية نفيسة .

-كتب أخرى في التاريخ والترجمة والتفسير التي كانت من روافد البحث.

الفصل الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

إن النظرية القائلة بأن الإنسان هو ابن بيئته، تجد تطبيقا حيّا لها في حياة "أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ " ونتاجه الذي جاء ثمرة لعصره ، فهو عاش في بيئة تعاني من تغيرات سياسية، و اجتماعية وثقافية ومعيشية، أهلته لأن يكون نتاج عصره .

فتأثره بهذا العصر دفعه إلى أن يعيشه بكل ما تعنيه الكلمة من معنى: دفع به إلى أن يرتاد ويتنقل بين الكتاتيب والمساجد ودكاكين الوراقين والدواوين، والأسواق الشعبية، وأحياء الزنوج، ومواقع السفلة، ومجالس الأمراء، وقصور الخلفاء، ودور اللّهو، ومجالس الأنس، ومجتمعات الندامى ...

بل لقد أصيب بنار الفتن السائدة في أيامه فقبض عليه أكثر من مرة وسيق مكبلا بالأغلال، وبولغ في إهانته والسخرية منه، كما بولغ في مدحه والثناء عليه. رأس إحدى طوائف المعتزلة وتحدث بلسانهم، تنقل بين الخصومات الدينية والاجتماعية والسياسية، وخاض مواقف التحدّيات، فجادل وناظر ودافع، مدح وذم، وتملق.

إذن كان الجاحظ نتاجا لعصره بكلّ صورَه وحقائقه، ومناقضاته، جدّه وهزله، بعلمه ولهوه، بعمله ومجونه.

هذه الترجمة – لكل الجهات التي عاش فيها، والاتجاهات الفكرية التي عايشها- دليلا على معايشة الجاحظ لبيئته وحضوره الدائم فيها، ودليل ذلك التراث الضخم والمتنوع الذي خلّفه، والذي ملأ مسمع الزمان كان ثمرة لحياة هذا الرجل، حياة الكفاح المادي ، والكفاح الفكري بما رصده من أركان الكتاتيب وزوايا المساجد ودهاليز الأحياء الشعبية ودور البيوت وقصور الملوك وغيرها، وبما قرأه في بطون الكتب، وبما أخذ من العلماء، وعمن التقى وعاشر.

ونحن إذ نشاهد في –مرآته – صورة وملامح ذلك العصر، فقد كان عمرو بن بحر في وسط بحر من الأحداث المتباينة والمختلفة وقف فيها مشاركا في تحديد ووضع وتوجيه مسارات بعضها، أو معارضا لبعضها الآخر، ومؤيدا كامل التأييد للبعض الآخر.

كما كانت شؤون الحياة وما فيها تصلح مادة لقلمه فقد كتب في الدين، وفي السياسة، وفي الاجتماع وفي الاقتصاد ....،كتب عن الإنسان شكله وسلوكه وطقوس عيشه، كتب عن الحيوان والطير والحشرات ...حتى الجن وجد له مقاما في آثاره، إلى جانب عجائب السماء والبرّ والبحر وألون الشجر والثمر.

كما عمل أيضا على تصوير الحياة العقلية لزمنه وما كان فيها من فرق ومذاهب وشيّع تتصارع وآراء تتصادم، إلى نزعات تلتقي وتفترق، إلى عصبيات جنسية، إلى فرق دينية، إلى شعوبية حاقدة تزعزع الركائز الفكرية والعقائد وتنفث السموم والدسائس للقضاء على العروبة والإسلام.

وقد تفطن الجاحظ لكل التيارات المعادية للإسلام فانبرى يرد خطرها بقلمه وفكره ومحاوراته فخاض بذلك معارك نال النصارى جانبا كبيرا من اهتمامه لما كان لهم من خطر على الأمة الإسلامية تمثل في نشر الإلحاد والزندقة وإثارة الشبهات والفتن ... "على أن هذه الأمة –الإسلامية- لم تبتل باليهود ولا المجوس ولا الصابئين كما ابتليت بالنصارى...إذ أن دينهم يضاهي الزندقة، وأنّه لا يوجد من هو أكثر زندقة منهم، ولا أكثر متحيرا، أو مترنحا منهم...".[1]

وقد أعلن عن واقعية تفكيره وهو يتحدث – ناقدا ومنتقدا- عن طريقته وأسلوبه الفنّي في تناوله للناس والآراء والمواقف ....، والتي من خلالها نتبين الوضع السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي والثقافي والديني الذي كان يسود المجتمع العباسي الذي عايشه وعاصره، فكان بحق شاهدا على عصره.

[1] – الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، ط1، (القاهرة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، 1405هـ 1984م)، ص 91 92.

المبحث الأول : عصره

أ-الحالة السياسية

قامت في العصر العباسي الأول، والربع الأول من العصر العباسي الثاني أعظم دولة في التاريخ الإسلامي و كانت " دولة كثيرة المحاسن، جمّة المكارم، أسواق العلوم فيها قائمة، وبضائع الآداب فيها نافعة، وشعائر الدّين معظّمة، والخيرات فيها دائرة، والدنيا عامرة والثغور محصنة" [1] .و اتسعت أرجاءها حيث عرفت – السياسة الخارجية والعلاقات الدولية- ونمت نموّا عظيما نتيجة هذا الاتساع، فامتدت جذورها إلى تخوم الإمبراطورية البيزنطية في الشرق ودولة الفرنجة في الغرب. وكان من نتاج هذا نشوء علاقات دبلوماسية بينهما ظهرت بوادرها في الهدايا المتبادلة بينهما[2]، و تبادل الخلفاء أيضا مع قياصرة الروم المراسلات الخاصة بدراسة الكتب واستقدام كبار العلماء[3].

وقد عدّا المؤرخون أنه من أهم خصائص هذا العصر ظهور عاملان أساسيان كان لهما الأثر الأكبر في قلب المفاهيم التي ألفها الناس في شتى ميادين الحياة ، فكان العامل الأول تاريخي تمثل في الفتوحات الإسلامية، حيث دخلت في الدولة الإسلامية شعوب وجماعات مختلفة الأجناس، متنوعة الثقافات والخلفيات الاجتماعية.

وأما العامل الثاني فهو عامل جغرافي تمثل في نقل العاصمة من دمشق إلى بغداد أدّى إلى إضعاف النفوذ العربي، وبروز النفوذ الفارسي فكان تأثيره قويا في الحياة العامة لهذا المجتمع وآية هذا التأثير أن دولة بني العباس "أعجمية خراسانية"[4]. وهو ما يفسر " غلبة الفرس من الناحية السياسية والإدارية" [5] فأنزلتهم في كثير من أمور الدول وشؤونها[6]، وهو ما ساعد على بروز التأثيرات الفارسية تجلى ذلك في مظاهر الخلافة الإسلامية حكم مطلق على

---

[1] إبن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية و الدولة الإسلامية ، تحقيق محمد حسن محمد، د ط ، (مكتبة الثقافة الدينية، دت)، ص 147.

[2] محمود حسن أحمد: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دط ، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1995) ، ص 166.

[3] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام– السياسي، الثقافي، الديني، ط3 ، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، 1411هـ 1991 م)، ج2، ص 242.

[4] الجاحظ: البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط4،(بيروت، مكتبة الجاحظ، دت)، مج 2، ج3، ص: 5 و ما بعدها.

[5] أحمد أمين: ضحى الإسلام،ط10، (لبنان بيروت، دار الكتاب العربي، دت)،ج1، ص 28.

[6] أحمد فريد رفاعي: عصر المأمون، ط3،(القاهرة، دار الكتب المصرية ، 1346 هـ- 1928 م)، مج1، ص 166.

الطريقة الفارسية[1]، في نظمه وعاداته وتقاليده، وجده ولهوه وطعامه وشرابه، حتى الأزياء أصبحت تحاكي الأزياء الفارسية[2]. فكان هذا هو حال الناس في القرن الأول لمنشأ الدولة العباسية حكومة جديدة سندها سواعد الفرس الأشدّاء عصبية على الدولة العباسية فيما أبدوا من دسائس و فتن، و من حقد علي العرب ، فكان هواهم عليهم مؤتلف.

وقد لاحظ الجاحظ ما كان يطرأ على الدولة من تغيرات في بنيتها السياسية والاجتماعية فساهم بكتاباته السياسية للدفاع عن كيان الدولة العباسية، وإرساء قواعد الاستقرار فيها، بل وتأكيد حقها في الخلافة، وهو ما دعا كل وزير من وزرائها أن يختص به ويعتمد عليه، وهو أيضا ما تعكسه كتبه ورسائله التي ألّفها في جميع جوانب السياسة ليطلعنا على ما كان يجري من أحداث عصره فما هو موقف الجاحظ منها وله سقنا كل هذا التمهيد؟

كان المجتمع العباسي في القرن التاسع الميلادي يتكون من عنصرين أساسين هما العرب والعجم، ظهرت بينهما خصومة شديدة بانت آثارها على الصعيد الفكري والاجتماعي والسياسي باسم الشعوبية[3]، والتي ترمي إلى تحقير العرب، والحطّ من شأنهم في شتى مناحي الحياة " لما للعرب من لغة وبلاد وإسلام، وكانوا السلف والقدوة".[4] وقد انقسمت إلى شعوبية سياسية رمت إلى إحياء الملك الفارسي القديم، وشعوبية دينية رمت إلى نقض الإسلام وبعث المجوسية.

فما كان من الجاحظ إلاّ أن تحدى هذا التيار الفارسي القوي سياسيا وثقافيا، والذي أندمج بجسم الأمة العربية الإسلامية وروحها الديني والثقافي. فكان خصما عنيدا له، وقف في وجهه يدافع عن العرب و يشيد بمآثرهم وبعروبتهم وبيانهم وفصاحتهم. " إن العرب أنطق وأن لغتها أوسع، و أن لفظها أذّل، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر، والأمثال التي ضرت أجود وأيسر، والبديهة مقصورة عليها والارتجال والاقتضاب خاص

---

[1] محمد ماهر حمادة: دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي و مصادره، دط ، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988م)، ص79.

[2] محجاب محمد نبيه: بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط5،(القاهرة، الطبعة الفنية الحديثة ،1996م)، ص 72.

[3] محمد التونجي: المعجم المفضل في اللغة و الأدب، ط1، (لبنان بيروت، دار الكتاب العالمية ، 1413هـ، 1993م)، ص 550 .

[4] الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دط، (لبنان بيروت، دار الجيل ، 1992م)، ج7، ص 220.

فيها".[1] وهاجم هؤلاء هجوما عنيفا، "واعلم أنك لم تر قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكا لعرضه، ولا أطول نصبا ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة...".[2]

كانت طريقة الجاحظ أن يستعرض مطاعن الشعوبية وحججها ثم يرد عليها، ويكفي أن نمثل لذلك، بالحوار الذي دار بين الكلب والديك كمظهر للتفاخر بين العنصر العربي والفارسي في كتابه "الحيوان"[3]. وب"كتاب العصا" من البيان والتبيين[4]،

ظهر إلى جانب العرب والفرس، عنصر آخر كان له أثر كبير في تاريخ الأمة الإسلامية وحياتها السياسية والاجتماعية في العهد العباسي،تمثل في ظهور الأتراك على يد"الخليفة المعتصم"[5]. ولعلّ ذلك راجع إلى عصبيته التركية لكون أمه من الأصقاع التركية[6] فمكّن لهم في الأرض،" وتمكنوا هم من إحكام أمرهم"[7].

كانت العصبية الشديدة نحو العرب والمسلمين ميزة الأتراك في سياستهم، ويبدو ذلك في قول المسعودي:" كانت الأتراك تؤذي العوام بمدينة السلام."[8]

ومن الظواهر أيضا التي لازمت الأتراك في سياستهم، إلغاء سلطان المعتزلة والتنكيل بالشيعة، فكان تاريخهم مملوء بالحقد عليهم، مثّل هذه السياسة المتوكل حين قام " بهدم قبر الحسين وما حوله من المنازل والدور ..."[9].

---

[1] الجاحظ: البيان و التبيين، ج3، ص29-30.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص05 و ما بعدها.

[3] الجاحظ: الحيوان، تحقيق يحي الشامي،ط3 ،(بيروت، دار مكتبة الهلال، 1990م) ج1-3، ص 206 و ما بعدها .

[4] المصدر السابق، ص: 05 و ما بعدها.

[5] أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط4،(القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1966م)، ج1، ص03-04.

[6] الجاحظ: مناقب الترك، (رسائل الجاحظ)، تحقيق و شرح محمد عبد السلام هارون، ط1 ،(بيروت، دار الجيل، 1411هـ-1985م)، مج1، ج1، ص 55.

[7] إبن الأثير: الكامل في التاريخ، ط5 ،(بيروت، دار الكتاب العربي، 1405هـ)، ج5، ص287.

[8] المرجع نفسه، ص: 285، و الطبري: تاريخ الأمم و الملوك، ط2 ،(مؤسسة عز الدين للنشر و الطباعة، 1407هـ-1987م)، مج5، ص 87.

[9] نفسه: المرجع نفسه، ص 87.

كذلك سياسته مع اليهود والنصارى وما فرضه عليهم، فقد أمر "بأخذ النصار وأهل الذمة كلهم بلبس الطياسيلة العسلية والزنانير، وركوب السروج بركب الخشب..."[1].

ب-الحالة الاجتماعية والاقتصادية

إن أبرز ما ميّز البيئة الاجتماعية العباسية هي اختلاط الشعوب وتعدد العناصر والأجناس، حيث نتج عن ذلك مجتمع جديد بألوان متنافرة لا يجمع بينها شيء سوى أنه حواها نظام حكم واحد "لذلك أصبحت فيه الحياة متعددة المطالب دون مرتكز طبيعي، والعلاقات العامة معقدة الأواصر، كيف لا والمجتمع الطبقي بفروقاته الحادة قد أخذ يتوطد وقامت مصالح طبقة جديدة أطلق على تسميتها الطبقة البرجوازية، طبقة من التجار تنسج عالمها الخاص بها وتلعب دورا حاسما في بناء كيانات حادة للعلاقات والتعامل بين الناس تسودها المادة وتطغى عليها المادة".[2] هذا المجتمع بكل متناقضاته كان محط أنظار الجاحظ حيث عالجه معالجة دقيقة، فأهتم بأحوال الناس والفئات والطبقات الموجودة في مجتمعه، إذ تكشف لنا مؤلفاته عن جانب كبير من الحياة الاجتماعية للعباسيين ذات الطابع الإنساني من عادات وتقاليد، وحتى أنواع الأمراض التي أصابت فئات المجتمع كالبرص والعرج[3]، و مظاهر التفاخر بين الناس كتفاخرالسودان على البيضان[4]، كما تحدث عن الحب وعن المرأة و القينة بوجه خاص[5]، وعن مجالس الغناء والمغنيين[6].

شهد هذا المجتمع إزدهارا إقتصاديا عظيما كان من دعائمه إهتمام الخلفاء بالتجارة والزراعة والصناعة، ورعايتهم للحرفيين والمهنة، حيث نشطت حركة التجارة في هذا العصر داخليا وخارجيا وازدادت توسعا[7]. كما عرفت الحياة أيضا في هذا المجتمع إنقلابا إقتصاديا

---

[1] الطبري:المرجع السابق، ص87.

[2] فاروق سعيد: بخلاء الجاحظ، ط 3 ،(لبنان بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1400هـ-1988م)، ص 8

[3] الجاحظ: البرصان و العرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسى الخولى، ط5،(بيروت،مؤسسة الرسالة،1414ه ،1992م) ، ص8

[4] الجاحظ: فخر السودان على البيضان، (رسائل الجاحظ)، ج1، ص127

[5] المصدر نفسه ،ص144

[6] المصدر نفسه ،ص131

[7] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ،مرجع سابق، ج2، ص 308 .

واسعا جرّاء إنتقال العاصمة من الشام إلى بغداد، وقد عاشت طبقة من هذا المجتمع في ظلّ هذا الازدهار الاقتصادي حياة بذخ وترف فاقتنت الجواري والغلمان وتفننت في بناء الدور والقصور[1]....

كما أفرزت هذه الحياة عيوبا إجتماعية جرّاء هذا التحول فكان من مظاهرها البخل الذي طبع مظاهر الحياة العامة للمجتمع العباسي كما وصفه الجاحظ (بخلاء الجاحظ)،حيث يضرب امثلة علي ذلك هي اعجوبة في البخل، " يمسك بوله في فمه".[2] إضافة إلى التفاوت الطبقي بين طبقة الشعب وطبقة الرقيق التي كان لها شأن كبير في حياة وتاريخ الدولة العباسية[3]، وثمنها عبوديته، وغايتها الجنس والاستغلال.

ج-الحالة العلمية والفكرية

شهد هذا المجتمع اختلاطا كبيرا بين شعوب وأمم متباينة في أصولها وبيئاتها وأجناسها... كما شهد ذلك الحين الذي وصل فيه النشاط الثقافي أرفع مستوى وأوج ازدهار، " فنشطت الأبحاث والدراسات العلمية، وظهرت المؤلفات الفقهية والفلسفية والتاريخية والأدبية، والموضوعة، والمنقولة، والمترجمة عن اليونان والهند والفرس وانتشرت مراكز النسخ وجوانب الورّاقين، وأصبح الكتاب في متناول الجميع، وعمّت المراكز الثقافية والمساجد والمكتبات والقصور"[4] . وقد ساهم في ذلك خلفاء العصر العباسي الأول الذين شجعوا العلماء ووفروا أسباب النهضة العلمية. " فقد عمل الخليفة المأمون الذي التفّ حوله مجموعة ناذرة من العلماء والأدباء على تأسيس بيت الحكمة، والإشراف على حركة التأليف والترجمة، وبدل الأموال الطائلة لشراء الكتب اليونانية وترجمتها"[5]. كما عمل أيضا على"تهريب كتب الفلسفة إلى بلاد الشام فتلقاها المعتزلة وأقبلوا على تصفحها والنظر فيها فأشتد ساعدهم"[6] .

---

[1] المرجع السابق ، ص399 .

[2] أنظر الجاحظ: البخلاء ، إشراف محمد بلقايد،ط4،(الجزائر،موفم للنشر،1999م)،ص171

[3] حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 399..

[4] فاروق سعيد: بخلاء الجاحظ، مرجع سابق، ص 8 .

[5] أحمد فريد رفاعي: عصر المأمون،مرجع سابق، ج1، ص 357.

[6] المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،دط، (القاهرة، مؤسسة الحلبي و شركاه، دت)، ص 174.

ومن الثقافات التي راجت في عصر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الثقافة اليونانية، والثقافة الفارسية، حيث كان لنصارى السريان دور فعّال في ترجمة هذه الثقافة اليونانية ونشرها بين المسلمين، وهو الدور نفسه الذي قام به الفرس[1]، فكان أثر ذلك واضحا في بعض جوانب الحياة، وأنماط التفكير، وفي مفاهيم مختلف طبقات المجتمع، فحدث تصدع في المذهب السني[2]، إضافة إلى ذلك الخلاف الذي نشأ بين الاعتزال والفلسفة تمثل في تلك المناقشات المستمرة التي أثارتها مدرسة البصرة وبغداد، وتلك المناظرات التي كانت تعقد بين علماء الإسلام كمناظرة النظام والعلاف[3]، حول مسائل كان يدور حولها الخلاف، كالاختيار والوحدة والتعدد، وانتقال الجوهر الإلهي وتميزه وقبوله للإعراض[4].

نشطت حركة الترجمة وبدأت تعطي ثمارها من خلال التمازج الثقافي في صورة مادية علمية منوعة، أو منهجية منتظمة[5]، وقد كان لعلماء النصارى دورا كبيرا في نقل سائر العلوم من كتب المنطق والفلسفة كإسحاق بن حنين أشهر مترجم للمؤلفات اليونانية إلى السريانية والعربية[6]. وعلى ضوء هذه الترجمات اليونانية والسريانية بدا مشروع الترجمات منذ القرن الثالث الهجري[7].

إلى جانب حركة الترجمة من السريانية واليونانية إلى العربية ظهور عدد كبير من العلماء الذين أسهموا من خلال مؤلفاتهم في إثراء الحياة الفكرية وتطوير العديد من فروع المعرفة،لاسيّما في ميدان الطبّ والفلسفة والفلك[8]، وقد عدّ الطّب صناعة مهمّة واسعة

---

[1] وليد قصاب: التراث النقدي و البلاغي للمعتزلة، دط،(قطر الدوحة، دار الثقافة، 1405هـ-1985م)، ص 405.

[2] سيد أمير علي: روح الإسلام، ترجمة عمر الديراوى ،ط1،(بيروت،دارالعلم،1961م)،ص316.

[3] حسن إبراهيم حسن:المرجع السابق ، ص224.

[4] الشهرستاني: الملل و النحل، تحقيق أحمد فهمى محمد،دط،(بيروت،دار المعرفة،1980م) ، ج 1، ص 133.

[5] محمد حسن عبد الله: مقدمة في النقد الأدبي، دط،(الكويت،دار البحوث العالمية، 1985م)، ص 475.

[6] ابن النديم: الفهرست، تعليق الشيخ إبراهيم رمضان،ط5 (بيروت لبنان،دار المعرفة، 1415،1هـ، 994 م)، ص 39-40.

[7] هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة نصير مروة، حسن قبيسي، مراجعة موسى الصدر، عارف تام،ط2، (بيروت، منشورات عويدات، 1999)، ص 57.

[8] أحمد أمين: فجر الإسلام،ط10، (بيروت لبنان،دار الكتاب العربي،1969م). ص112_130

الانتشار حتى أن الخلفاء العباسيين وضعوا صناعة الطّب والتنجيم تحت حمايتهم لحاجتهم الخاصة إليها[1].

من بين هؤلاء العلماء برز عدد كبير من النساطرة الأطباء الذين كانوا أحد معايير التراث الشرقي عامة والفارسي والهندي خاصة إلى التراث الإسلامي[2].

كان أهم ما ميز هذا العصر هو جوّ التسامح الديني والحرية الفكرية، وهما ما سمح ببروز هؤلاء العلماء من النصارى وبخاصة أهل الذمة الذين تمتعوا بحضوة كبيرة لدى الخلفاء وكسب ثقاتهم لديهم، إضافة إلى المكانة الأدبية التي تحققت لهم، كلّ ذلك جعلهم على دراية بشؤون الدولة، وبما كان يدور في بلاط أصحاب القرار من سياسات وأسرار[3]، بل شاركوا مشاركة فعّالة في إدارة الدولة العباسية ومؤسساتها منهم من تولّى رئاسة الأطبّاء في بغداد، ومنهم من تقلّد مناصب رفيعة ككتب الحكمة مثل يوحنا بن ماسويه، وحنين بن إسحاق[4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] أحمد أمين: ضحى الإسلام ،مرجع سابق، ج1 ، ص286.

[2] دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الوهاب أبو ريدة،ط5، (القاهرة،مكتبة النهضة المصرية، 1981م)، ص 19

[3] عادل زيتون: آل بخت شيوع النساطرة في البلاط العباسي، مجلة عالم الفكر،(الكويت،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، العدد 29، 2001 م)، ص 153.

[4] علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط7،(دار المعارف،1977م)، ص 107.

المبحث الثاني: حياته .

نسبه:لقد اختلف المؤرخون والنقاد قديما وحديثا في أصول الجاحظ ونسبه وهو أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب بن فزارة اللّيثي الكناني، جعله بعضهم كنانيا صليبة[1]، والبعض الآخر جعله كنانيا بالولاء[2]، نقلا على ما ذكره يمو ت بن المزرع أنّه كان مولى لأبي القلمس عمرو بن قلع الفقيمى النسّاء .

يتبين من هذا أن كنانية الجاحظ لا خلاف فيها، وهو اعتراف الجاحظ نفسه حيث يقول:" وأنا رجل من كنانة"[3]، أمّا الخلاف فهو في الولاء. ومن القدامى والمحدثين[4] من يذهب إلى أنه من أصول غير عربية من العناصر الإفريقية، إلاّ أن هناك من يذهب عكس هذا ويقّر بأنه عريق الأصل في العرب[5].

كان الجاحظ يشدد النكير على المفاخرين بآبائهم، يتجلى ذلك فيما كتبه إلى الوليد بن دوواد :" أحذر خصلة رأيت الناس قد أستها نوابها وضيعوا النظر فيها، مع اشتمالها على الفساد، وقدحها البغضاء في القلوب والعداوة بين الأورداء: المفاخرة بالأنساب"[6].

مولده: في مولد الجاحظ خلاف بين كتاب التراجم فمنهم من ذكر ولادته سنة (150هـ -767 م) اعتمادا على ما قرره عن نفسه " أنا أسن من أبي نواس بسنة ولدت في خمسين ومائة وولد في آخرها" [7] إلاّ أن هدا لا يصح الأخذ به والاعتماد عليه لأن ميلاد أبي نواس كان سنة (147هـ)[8]. وأيضا وفي هدا رأ ي آخر لكثير ممن ترجموا للجاحظ

---

[1] المسعودي: مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دط، (بيروت،دار المعرفة ، دت)، ج4، ص195 و السمعاني: الأنساب، تقديم عبد الله عمر البارودي،ط1،(بيروت لبنان،دار الجنان، 1408هـ، 1988م)، ج2 ، ص 06.

[2] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،دط، (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، دت)، ج12، ص 213.

[3] الجاحظ: رسائل الجاحظ، شرح وتقديم عبد أ مهنا،ط1،(بيروت،دار الحداثة،1988م)،ص8

[4] ياقوت الحموي: معجم الأدباء،ط1، (بيروت لبنان،دار الكتب العلمية، 1991) ج4 ،ص 474، و شوقي ضيف: الفن و مذاهبه في النثر العربي،ط11، (دار المعارف، دت]، ص154.

[5] حسن السندوبي: أدب الجاحظ،ط1،(القاهرة ،المطبعة الرحمانية ، 1350هـ-1931م) ،ص11.

[6] الجاحظ : مجموع رسائل الجاحظ،- المعاد و المعاش-، تحقيق محمد طه الحاجري،دط،(بيروت لبنان،دار النهضة العربية ، 1983) ،ص 113 .

[7] ياقوت الحموي: المرجع نفسه ،ج4، ص 474.

[8] حسن السندوبي: المرجع نفسه، ص15

بأن ميلاده كان سنة(159هـ)[1].غير أن ما يمكن استنتاجه هو أن ميلاده كان بداية منتصف القرن الثاني الهجري .

لقب أبو عثمان عمرو بن بحر بالجاحظ، لأن عينيه كانتا جاحظتين، والجحوظ: النتوء، وكان يقال له أيضا الحدقي[2].

نشأته وثقافته: نشأ الجاحظ في أسرة متواضعة في منبتها وفي مكانتها الاجتماعية، توفي أبوه وهو طفل فأحس بؤس الفقراء، وأنطلق تحت كفالة أمه يلتمس لنفسه ولأمه أسباب العيش في ضواحي البصرة يبيع الخبز والسمك[3]. إلاّ أن هذه النشأة اليتيمة، وهذا الفقر في عيشه لم يكن ليغنيه من تعلم القراءة والكتابة، فكان طموحا منذ صباه، وساعد على طموحه أكثر من سبب مواهبه التي ظهرت أشعّتها في مراحل طريقه الأولى، الشغف بالقراءة والولوع بالمطالعة، وهو إحساس لازمه منذ الصبا بالاعتماد على نفسه وتحمل المسؤولية، وبيئته التي نشأ فيها تثير عوامل هذا الطموح المبكر. كما كان يتلقط علمه عن جلساءه وإخوانه وعمن فوقه سنا ومعرفة .

لقد تعددت الينابيع التي أسست ثقافته الدينية والأدبية، وأمدّته بأصول ومقوّمات فكره. فهل كان لهذا التعدد أثر في فكره ؟

تنقل الجاحظ منذ طفولته بين حلقات المسجدين في البصرة، وكان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها[4] وأتصل بعظماء ونوابغ عصره في الأدب والدين، ولا شك أن هؤلاء كان لهم أثر في تكوين الجاحظ فكرا وثقافة ولغة وبحثا. سمع من أبي عبيدة والأصمعي وابن زيد الأنصاري، وأخذ اللغة والأدب عنهم، وأخذ النحو عن الأخفش ، والكلام عن النظام[5].

---

[1] حنا الفاخوري: الجاحظ –سلسلة نوابغ الفكر العربي –: دط،(مصر ،دار المعارف،دت)،ج2،ص16

[2] ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس،دط،(بيروت،دارصادر،دت) ص471.

[3] الحموي: المرجع السابق،ص474

[4] المرجع نفسه ، ص474 ، ابن النديم ، الفهرست ، ص148

[5] محمد عبد المنعم خفاجي : أمراء البيان ، ط2 ، (القاهرة،مطبعة لجنة التأليف و النشر، 1367هـ-1948م)،ج2 ،ص 316

ترك أبو عبيدة أثرا كبيرا في فكر الجاحظ، وقد تحدث عنه، وربّما أوفاه حقه فقال:" لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم منه"[1].

أما النظام فكان تأثيره على اتجاهات الجاحظ الفكرية والمذهبية، بل والتأليفية "...كانت طريقته في التحري من أركان طريقة الجاحظ العلمية"[2].و هو الذي وصفه بقوله: " إن الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له، فإن كان ذلك صحيحا فهو أبو إسحاق النظام. وقال أنه ما رأى أحد أعلم بالكلام والفقه منه..."[3].

وهكذا أجتمع له هذا التعدد-التكويني – فمنه ما كان تأثيره وقتيا محددا، ومنه ما كان تأثيره كبيرا .

الجاحظ وعلاقته بالسلطة السياسية:

اتصل الجاحظ بعظماء الدولة في بغداد وسمرّاء، فكان ذو حضوّة عندهم يعشقون قربه ويفاخرون بصداقته. فمن هؤلاء الذين حضي الجاحظ بصداقتهم؟ وهل كان من وراءها خدمة لأغراضهم السياسية؟

إذن للجاحظ صلات متعددة بأصحاب القرار في بلاط الدولة العباسية، فمنها صلته بالخليفة :

المأمون: الذي بعث إليه بمقالات في موضوع الإمامة حيث يقول: " قرأ المأمون كتبي في الإمامة فوجدها على ما أمر به .." [4]، كذلك يذكر الطبري: " أمر المأمون مناديا فنادى برأت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضّله على أحد من أصحاب رسول الله"[5] . فكتب الجاحظ كتابه في العثمانية .

---

[1] الجاحظ: البيان و التبيين،ج1، ص224.

[2] طه الحجاري:ا لجاحظ – حياته و آثاره-،ط28، (مصر،دار المعارف،1962)، ص163.

[3] محمد علي كرد: المرجع السابق ،ج 2، ص 317.

[4] الجاحظ: البيان و التبيين، تقديم و شرح على أبو ملحم،ط1، (بيروت،دار مكتبة الهلال، 1408هـ - 1988م)، ج3، ص 243.

[5] الطبري: تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،دط،(القاهرة،دار المعارف، 1968م)،ج11، ص 1089

محمد بن عبد الملك الزيات: كانت صلة الجاحظ به قوية، حيث كان مائلا إليه منحطا في هواه.[1]

ألف الجاحظ كتابه "الحيوان"[2] و أهداه إليه مع كتاب " سبويه"[3].

ابن أبي دؤاد المعتزلي: كان الجاحظ منحرفا عنه مائلا إلى بن الزيات فلّما قبض عليه للعداوة التي كانت بينهما هرب الجاحظ وقد أوردت كتب التاريخ هذه الواقعة[4]، غير أن الاعتزال جمع بينهما من جديد فألف كتابه"البيان والتبيين" وأهداه إياه[5].

إلى جانب ذلك رسالة النابتة[6]، ورسالة المعاد والمعاش[7] ورسالة الفتيا[8] .

الفتح بن خاقان: جمع بينهما حبا عظيما حتى صارت مثلا سائرا[9]، كتب الجاحظ رسالة الرد على النصارى[10] بطلب من هذا الوزير، كذلك كتابه مناقب الترك وعامة جند الخلافة[11] .

ا لمتوكل: رغب المتوكل أن يعلّم له بعض ولده، فلما رآه استبشع منظره فمنحه مالا وصرفه[12].

مؤلفاته: كان من عبقرية الجاحظ أنه لم يدع بابا من أبواب العلم المتشعبة، ولا بحثا من الأبحاث المتنوعة إلاّ ولجه وجال فيه، ولقد كان له من سعة الثقافة، وحدة العبقرية ما

---

[1] الحصري: زهر الآداب و ثمرة الألباب، تحقيق: زكي مبارك،دط، (مصر،مطبعة الرحمانية،1295م)،ج2، ص 173.

[2] الجاحظ: الحيوان، ج4 ، ص 37.

[3] الشريف المرتضى: أمالي المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط2، (بيروت لبنان،دار الكتاب العربي، 1387هـ -1967م)، ص 194 .

[4] الحصري: المرجع نفسه ،ج2، ص 183.

[5] حسن السندوبي، المرجع السابق ، ص125.

[6] الجاحظ، رسائل الجاحظ، مج1، ج2، ص 7

[7] المصدر نفسه، مج1، ج1، ص 91

[8] المصدر نفسه، مج1، ج1، ص312 .

[9] ابن النديم: المرجع السابق ، ص 188.

[10] المصدر السابق مج2، ج1، ص 30.

[11] المصدر نفسه، مج1، ج1، ص 05

[12] المسعودي، مروج الذهب، مرجع سابق ، ج4، ص 99.

جعله يتمخّض عن كتاب في كلّ فروع العلم والأدب والسياسة والدين والفلسفة واللاّهوت في زمانه حتى أنّ كتبه بلغت ثلاث مائة كتاب[1]، وعلى رأس مؤلفاته:

1- الرّد على النصارى: وهي رسالة كتبها تلبية لطلب الفتح بن خاقان وزير المتوكل للرّد على حجج النصارى واليهود.

2- كتاب الحيوان: وهو كتاب ألفه الجاحظ ليبين ما في الحيوان من الحجج على حكمة الله العجيبة.

3- البيان والتبيين: تكلّم فيه عن العيّ والفهامة، وفصاحة اللّسان وما يعيبها.

4- البخلاء: وهو كتاب جمع فيه أخبار البخلاء، والمقتصدين في عصره وقبله من أهل البصرة وخرا سان.

5- رسالة التربيع والتدوير: وهي رسالة تمكميّة، وضعها في هجاء أحمد بن عبد الوهّاب.

6- العثمانية: وهو كتاب وضعه دفاعا وتأييدا لأبي بكر (رضي الله عنه)، تمجيدا وتأكيدا على أولويته في الإسلام.

7- ردّ على التشبيه: رسالة يمتدح فيها الكلام، ويذم المشبهة التي حرفت آيات الله، ويهاجم الحشوية أعداء العباسيين .

8- استحقاق الإمامة: رسالة تتناول الشيعة في فرعيها الزيدية والرّافضة، وغير ذلك كثير .

9- النساء: رسالة تبين أهمية المرأة في المجتمع.

10- القيان: وهي دراسة تحليلية نفسانية حول الحب والمرأة بوجه عام، والقينة بوجه خاص.

---

[1] جميل جبر: الجاحظ (حياته و أدبه)،ط4، (بيروت لبنان،الشركة العالمية للكتاب، 1999م)،ص 30 و ما بعدها . و هدى شركة بهنام، الموروث الجاحظي مخطوطا و مطبوعا، مجلة المورد،دط،(بغداد ،دار الجاحظ،1971)، ص 277 و ما بعدها.

وفاته: كادت تتفق كتب التراجم والطبقات على أن وفاة "الجاحظ" كانت سنة (255هـ،868م) بالبصرة[1]، إلاّ أن المسعودى[2] يرجعها إلى (256 هـ) كما أن منهم من يذهب إلى أن وفاته كانت بمقبرة الخيزران ببغداد لا بالبصرة [3]،كان ذلك بسقوط مجلّدات الكتب عليه[4]، بعد أن أصيب بالفالج[5] . وقد نيف عن التسعين فقال أشدّ ما أشكو التسعين[6] . وقد أسف لموته الخليفة المعتز بالله .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] ابن خلكان: وفيات الأعيان ،ج3، ص 474.

[2] المسعودي: المرجع السابق ، ج4، ص 195.

[3] أحمد فريد رفاعي: عصر المأمون مج 1 ، ص 72.

[4] أبن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي،دط،(بيروت لبنان ،دار الأفاق الجديدة، دت)، ج2، ص 121.

[5] أبو على القالي: الأمالي، ط2،(بيروت لبنان،دار الجيل، 21407هـ - 1987م)، ص 50 .

[6] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ص 219.

الفصل الثاني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: مدخل إلى منهج الجاحظ

إن أهم ما تميز به أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في جداله مع النصارى، هو أنه قبل عرض مسائلهم على المسلمين تطرق للعلاقات التي كانت قائمة بين المسلمين والمسيحيين، والأوضاع التي عاشها المسلمون في صلتهم بالنصارى، وهي تواجد الجاليات النصرانية في دار الإسلام بين أفراد المجتمع المسيحي و الإسلامي و العلاقة بين المسيحية والإسلام .

هذه الخصائص هي التي سمحت للجاحظ باتخاذ موقف من النصرانية لإظهار فساد عقائد النصارى، من نقد للدين الذي يمارسه أتباعه ، ومآخذه على العبادات و الطقوس، ونقده لسلوك النصارى وأخلاقهم، وتعديد المآخذ التي يراها عليهم، ومن ثم فقد كان سلوك النصارى بمختلف مظاهره محل عناية كبيرة من قبله .

وقد اعتمد في تحليله لواقع النصارى على جملة عوامل مختلفة ذات تأثير في تكوين الظاهرة الدينية عندهم، فمنها : العامل النفسي و الذي كثيرا ما يشير إلى معان نفسية بألفاظ خاصة "أقلف ، مترنح، متحير ..."

أيضا العامل الفكري و أهميته في تفسير واقع الأديان و ارتباطه بالمعتقد الديني كذلك العامل الاجتماعي، حيث أن للدين إطاره الاجتماعي و بنيته الاجتماعية وقد تمثل في واقع المسيحية التي أثرت فيها المجتمعات المختلفة (ثقافة وعادات وتقاليد) فكان أثرها على العامة كونها أقرب إلى التجسيد من الخاصة المثقفة.

كذلك العامل التشريعي الذي قام بدور كبير في تغيير المسيحية كتشريع بولس[1] الذي ساهم في تحريف العقيدة النصرانية بتقليد الوثنيين وأخذ عاداتهم وتقاليدهم .

---

[1] -بولس هو بولس القديس ولد في طرسوس بآسيا الصغرى واسمه الأصلي شاؤول رواني الجنسية نشأ نشأة يهودية و أصبح أنشط المبشرين في القرن الأول. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية ، ط8، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1985م)، ص 226-228، توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ترجمة كميل حشيمة اليسوعي، دط ، (بيروت لبنان، دار المشرق ، دت)، ص 44، و أبو عبيدة الخزرجي: بين الإسلام و المسيحية، حققه و قدم له و علق عليه محمد شامة، دط،(القاهرة ،مكتبة وهبة ، د ت)، ص 68.

و سبب اهتمام الجاحظ بالعقيدة المسيحية يرجع إلى الجدل الإسلامي المسيحي الذي احتدم في عصره بسبب الاختلاف في الآراء و المواقف و المعتقدات.

فالموقف من النصارى لا تحركه اعتبارات دينية فقط، و إنما أخذ شكله السياسي "لما تولد لدى المسلمين اقتناع عميق بعالمية الرسالة سواء في تعبيرها الديني التوحيدي، أو في نظرتها الحضارية للاجتماع البشري و التواصل الثقافي، كما تشكلت لديهم نظرة تجعل المسلم في موقع متفوق اتجاه الأديان و العقائد و الشعوب الأخرى". [1]

و دخول الجاحظ في هذا الجدال كان استجابة لظرفية تميزت بتوتر خاص بين النصارى و بين نظام الدولة العباسية الذي يمثله الخليفة المتوكل ومع من بدأ يعلن تبرمه من الدولة العباسية. هذا التوتر تجلى في ذلك الصراع الذي مثلته "نخبة عالية الثقافة ولها نفوذ داخل الدولة، كانت تتنازع النفوذ داخل الدولة و تتنافس على الصدارة و القرب من القابض على السلطة السياسية ".[2] عمل هذا على تكوين نظرة عنهم فيها درجة عالية من الانتقاض، فالحكم على النصارى بهذه القسوة إنما كنا استجابة لمقتضيات النظام الذي كانت الدولة في حاجة ماسة إليه لذلك." غضب هذا الخليفة على أهل الذمة فضيق عليهم وأمر النصارى سنة 235 هـ بأن يلبسوا ثيابا مميزة عسلية اللون، ومنعهم من ركوب الخيل و البرادين و الاقتصار على ركوب البغال و الحمير بركب الخشب ..."[3].

إذن كان الخطاب الجاحظي حول النصارى و غيرهم يدخل ضمن حاجة الدولة العباسية إلى ضبط النظام و محاصرة الاحتجاج والتبرم من كل ما يمت بصلة إلى الدولة العباسية و نظامها.[4]

تجليات الصراع لم تكن ذات طابع سياسي، اجتماعي أو عسكري فقط، و إنما انتقل هذا الصراع إلى ساحة الجدل الكلامي. و لعل أكثر المواقف وضوحا اتجاه النصارى، يتمثل

---

[1] – محمد نور الدين أفاية: الغرب المتخيل– صور الأخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط– ط1،(الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي، 2000م)، ص85.

[2] – المرجع نفسه، ص80.

[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مرجع سابق، ج، ص285.

[4] المرجع السابق، ص113.

فيها كتبه الجاحظ، باعتباره أديبا ومتكلما و ناقدا ومفكرا .... لم يكتفي بتقديم مطاعن النصارى على الإسلام و الرد عليها، و باستعراض اعتقاداتهم ودحضها، وإنما نقل مستوى الخلاف و المجادلة من إطار الموضوعات الكلامية اللاهوتية إلى المجال الأرحب للملاحظة الأنثروبولوجية و الأخلاقية فأصبحت نظرة الجاحظ إلى النصراني تشمل نمط عيشة و طقوسه، و سلوكيه، و لباسه و زواجه[1]، أي أنها امتدت لتكشف عن تفاصيل حياته و ثقافته.

فهو قد عرضها عرضا شاملا تاريخيا ووصفا و تحليلا و نقدا و مجادلة، بالرجوع إلى المصادر الأصلية و المشاهدة و الملاحظة. فهو يقدم عرضا تاريخيا أستهدف به الكشف عن سلوكيات النصارى من خلال ظاهرة الخصاء الشنيعة التي اختصوا بها دون سواهم من الأمم،و أثرها على النسل و الخلق و الدين يقول: "و مما يدل على قلة رحمتهم، و فساد قلوبهم أنهم أصحاب الخصاء من بين جميع الأمم، و الخصاء، أشد المثلة، و أعظم ما ركبه إنسان، ثم يفعلون ذلك بأطفال لا ذنب لهم و لا دفع عنهم. و لا نعرف قوما يعرفون بخصاء الناس حيث ما كانوا إلا ببلاد الحبشة، وهم في غيرها قليل و أقل قليل... و ليس الخصاء إلا في دين الصابئين[2] فإن العابد ربما خصى نفسه و لا يستحل خصاء ابنه فلو تمت إرادتهم في أولادهم في ترك النكاح،و طلب النسل.. لا نقطع النسل...و ذهب الدين، و فتن الخلق".[3]

ثم يتناول بالوصف التناقض الذي يعترى النصراني في واقعه النفسي و الخلقي إذا يقول: "و النصراني، و إن كان أنظف ثوبا و أحسن صناعة، و اقل و ساخة فإن باطنه الأَمْ و أقدر و أسمج، لأنه أقلف أي غير مختون و لا يغتسل من الجنابة، و يأكل لحم الخنزير ، و امرأته جنب لا تطهر من الحيض، ولا من النفاس، و يغشها في الطمث و هي مع ذلك غير مختونة".[4]

---

[1] – محمد نور الدين أفاية: المرجع السابق، ص110.

[2] – الصابئة: كلمة أرمية الأصل تدل على التطهير و تطلق على فقرتين المندائيين أتباع يوحنا المعمدان، و صائبة حرا ورد ذكرهم في القرآن الكريم و لغتهم السريانية. الشهرستاني الملل و النحل، مطبوع على هامش الفصل صححه عبد الرحمان خليفة، ط1، (مصر، مطبعة علي صبيح و أولاده، 1347هـ)، ج1، ص70-71.

[3] – الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص94.

[4] – المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

ثم يتعرض بالنقد إلى رفض جميع مبادئهم لمعارضتها تعاليم الإسلام و أحكامه، و تبيان ما فيها من فساد "وهم مع شرار طبائعهم، و غلبة شهواتهم ليس في دينهم مزاجر كنار الأبد في الآخرة وكالحدود و القيود و القصاص في الدنيا، فكيف بجانب ما يفسده و يؤثر ما يصلحه من كانت حاله كذلك".[1]

أما الواقع الاجتماعي، فهو يقدم عرضا و صفيا لنمط عيشهم و طقوسهم، يبرز من خلالـــها الـــمرجعية الدينية التي استمدوا منها ذلك النمط " إذا سمعت كلامهم في العفو و الصفح،و ذكرهم للسياحة، وزرايتهم على كل من أكل اللحمان، و رغبتهم في أكل الحبوب، وترك الحيوان، وتزهيدهم في النكاح،و تركهم لطلب الولد، و مدحهم للجاثليق و المطران و الأسقف و الرهبان بترك النكاح و طلب النسل و تعظيمهم الرؤساء، علمت أن بين دينهم و بين الزندقة نسبا، و أنهم يحنون إلى ذلك المذهب"[2] ثم يتعرض بالنقدليكشف عن كثير من تفاصيل حياتهم و طريقتهم في الزواج و التي تتعارض مع بديهيات العقل و وقائع التاريخ و مقررات الواقع، فهو يقول:"و العجب أن كل جاتليق لا ينكح، ولا يطلب الولد، و كذلك كل مطران و كل أسقف، و كذلك كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية و المقيمين في الديورات و البيوت من النسطورية، وكل راهب في الأرض و راهبة مع كثرة الرهبان أو الرواهب، و مع تشبه أكثر القسيسين بهم في ذلك و مع ما فيهم من كثرة الغزاة، وما يكون فيهم مما يكون في الناس من المرأة العاقر، و الرجل العقيم، على أن من تزوج منهم أمرأة لم يقدر على الاستبدال بها، ولا على أن يتزوج الأخرى معها، ولا على التسري عليها وهم مع هذا قد طبقوا الأرض و ملئوا الأفاق و غلبوا الأمم بالعدد و كثرة الولد".[3]

فالجاحظ إنما كان موضوعي في نقده ووصفه لهم، لأن هذا الذي يقول به النصارى و يعملون، لا يوجد بين جميع الأمم، و أنه لم يتهمهم، و لم يخبر عنهم بما ليس فيهم.

[1] - المصدر السابق، ص95.
[2] - المصدر نفسه، ص92
[3] - المصدر نفسه، ص93.

و النصارى إذ لا يتورعون في ادعائهم الحكمة و البيان و المنطق و الطب... و بالانتساب إلى حضارة اليونان حاملة هذا التراث الخصب. فالجاحظ لا يتوانى في رد هذا الإدعاء، و في إبطال هذا الزعم،فهو ينفي عنهم الحكمة و البيان لأن كتاب المنطق و الكون و الفساد و كتاب العلوي و غير ذلك لأرسطاليس وليس برومي و لا نصراني... و كتاب المجسطي لبطليموس، وليس برومي ولا نصراني، وكذلك كتب ديمقراط و بقراط، وأفلاطون.[1]

وقد استخدم الجاحظ استقراء تاريخيا دقيقا استهدف من خلاله كشف الملابسات التي أحاطت بهذا الزعم، وقد ذهب إلى تأكيد قوله ، باعتماد المقارنة إذا يقول "وهؤلاء أناس من أمة قد بادوا و بقيت أثار عقولهم، وهم اليونان، و دينهم غير دينهم، وآدابهم غيرآدبهم، أولئك علماء و هؤلاء صناع، أخذوا كتبهم لقرب الجوار و تدانى الدار، فمنها ما أضافوه لأنفسهم، ومنها ما حوّلوه إلى ملّتهم، إلّا ما كانمن مشهور كتبهم و معروف حكمهم، فإنهم حينما لم يقدروا على تغيير أسمائهم زعموا أن اليونان قبيل من قبائل الروم، ففخروا بأدياهم على اليهود و استطالوا بهاو على العرب، و بذخوا بها على الهند، حتى زعموا أن حكمائنا أتباع حكمائهم و أن فلاسفتنا احتدوا على مثالهم".[2]

وهذا ما يدل على أن الجاحظ كان مطّلعا على كتب الفلسفة اليونانية و علوم المنطق التي تنظم الفكر و توضح أصول الجدل و آدابه و قد استفاد الجاحظ مما ترجم في عهده رغبة منه في خدمة دينية و الدفاع عن عقيدته ضد الفلاسفة و الملحدين و اليهود و النصارى.

و أيضا ليتعرف على طرقهم في الحصول على علومهم و معتقداتهم التي نحولها من الأوساط.التي كانت تحيط بهم. بل و أكثر من ذلك ذهبوا إلى المغالاة فيها و التشدد، حتى خالفوا غيرهم في كثير من الوجوه،و الجاحظ كان على دارية عميقة بأصولهم، و بما تحمله خبايا أنفسهم إذا يقول "و دينهم يضاهي الزندقة، و يناسب في بعض و وجوهه قول الدهرية، وهم من أسباب كل حيرة و شبهة و الدليل على ذلك على أنا لم نر أهل مله قط

[1] - المصدر السابق ، ص86.
[2] - المصدر نفسه، و الصفحةنفسها

أكثر زندقة من النصارى، ولا أكثر متحيرا أو مترنحا منهم و كذلك شأن كل من نظر في الأمور الغامضة بالعقول الضعيفة ألا ترى أن أكثر من قتل في الزندقة- ممن كان ينتحل الإسلام و يظهره- هم الذين أبائهم و أمهاتهم نصارى".[1]

أراد الجاحظ من خلال هذا كله أن يوضح خطر النصارى المتمثل في نشر الإلحاد و الزندقة و إثارة الشبهات على المسلمين بشكل عام،فهم كانوا بمثابة الجسر الذي عبرت عليه المذاهب الفاسدة الغالية و الملحدة إلى البيئة الإسلامية "فلولا متكلموا النصارى و أطباؤهم و منجموهم ما صار إلى أغبيائنا و ظرفائنا و مجاننا سيئ من كتب المنانية[2] ، و الديصانية[3]، و المرقونية[4]، و العلاّنية[5]، و لما عرفوا غير كتاب الله تعالى و سنة نبيه-صلى الله عليه و سلم-و لكانت تلك الكتب مستورة عند أهلها، و مخلاة في أيدي ورثتها، فكل سحنة عين في أحداثنا فمن قبلهم كان أولها.. على أن بين دينهم و بين الزندقة نسبا، و أنهم يحنون إلى ذلك المذهب".[6]

بل إن الجاحظ يذهب بعيدا في التشديد مع النصارى، قياسا إلى العقائد الأخرى، إذا يري فيهم شدة المعاندة و اللجاجة و الارصاد لأهل الإسلام بكل مكيدة "إن هذه الأمة لم تبتل باليهود و لا المجوس و لا الصابئين كما ابتليت بالنصارى و ذلك أنهم يتبعون المتناقض من أحاديثنا، و الضعيف بالإسناد من روايتا، و المتشابه من أي كتابنا، ثم يخلون بضعفائنا و يسألون عنها عوامنا، ومع ما قد يعلمون من نسائل الملحدين و الزنادقة الملاعين، حتى ومع ذلك ربما (تجرئوا) على علمائنا و أهل الأقدار منا، و يشغبون على القوي، و يلبسون على الضعيف".[7]

ومما هو جدير بالذكر، أن الجاحظ في جدله مع النصارى كان يسير وفق منهج يعتمد على الأخلاق الإسلامية، ويرتبط ارتباطا وثيقا بأسس النظر في القرآن الكريم والسنة،

---

[1] المصدر السابق ، ص87

[2] و هم فرقة غالية تقول: بحلول الأو[illegible] .لوهية في علي بن أبي طالب و يجوز أن يكونوا أتباع ماني.

[3] يروا أن النور هو مصدر الخير و الشر قصدا و اختيارا و أن الظلام هو مصدر الشر .

[4] يدينون بالنور و الظلام مصدرا للخير و الشر.

[5] هم الذين يفضلون علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، الشهرستاني،المرجع السابق،ج1، ص70-71.

[6] المصدر السابق، ص92.

[7] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص91-92.

حيث نراه عند بداية حديثه يعتمد على ضرورة التقرب إلى اللّه سبحانه وتعالى وطلب مرضاته، فهو يبدأ بحمد الله والثناء عليه "الحمد لله الذي مّن علينا بتوحيده، وجعلنا ممن ينفي شبهة خلقه، وسياسة عباده، وجعلنا لا نفرق بين أحد من رسله ،ولا نجحد كتابا أوجب علينا الإقرار به،ولا نضيف إليه ما ليس منه، إنه حميد مجيد، فعال لما يريد"[1] ويبين من هذا الكلام مذهبه العقدي.

إلى جانب ذلك يبرز الجاحظ ما يتميز به علماء المسلمين من أخلاق عالية، وتأدب مع الله سبحانه وتعالى وهو التزام بمبادئ الإسلام السمحة "ونحن نعوذ بالله من التكلف وانتحال ما لا نحسن".[2] عكس ما يتصف به علماؤهم – النصارى- " فأما علماؤهم وعقلاؤهم فليسوا بمتحاشين من الكذب الصرف، والجراءة على البهتان البحث وقد تعودوا المكابرة حتى دربوا بها الدرب الذي لا يفطن له إلا ذو الفراسة الثابتة والمعرفة الثاقبة".[3]

دخول الجاحظ في جدال مع النصارى، يفصح عن رغبة قوية في خدمة دينه و الدفاع عن عقيدته "ونسأله القصد في القول و العمل، وأن يكون ذلك لوجهه، ولنصرة دينه، أنه قريب مجيب".[4] وليس رغبة في الظفر بالخصم و السرور بالغلبة "وليعلم من قرأ هذا الكتاب وتدبر هذا الجواب أنا لم نغتنم عجزهم، ولم ننتهز عزهم و أن الإدلال بالحجة و الثقة بالفلاح و النصرة هو الذي دعانا إلى أن نخبر عنهم بما ليس عندهم".[5] و الغرض من هذا كله هو كسر النصرانية بالحجة و البرهان.

الجاحظ – ومما تقدم ذكره – مارس ما يشبه التمهيد المسبق للمحاورة مع النصارى، حيث يناقش من خلاله عقائدهم، و قد انتهج منهج الراوي بين الحين و الآخر، يتضح ذلك من خلال ملفوظا ته مثلا "كما قلنا " وهي تؤكد في الوقت نفسه العناية بدقة أخباره و.لفت الأنظار إلى صحتها.

[1] – المصدر السابق ، ص73.
[2] المصدر نفسه، ص80.
[3] – الجاحظ: الحيوان، تحقيق يحى الشامى، ج6، ص202.
[4] الجاحظ: الرد على النصارى، ص80.
[5] – المصدر نفسه، ص124-125.

كذلك من خلال تتبعه في نقولاته ونصوصه، و في طريقة صوغها نجده منساقا مع ثقافة نصوصه و عصره، وهي تبين لنا موقفه من القضايا التي يعالجها بإيراد النصوص المتضاربة، و عرضها بموضوعية بعيدا عن التدخل لرفض الرأي، مع اتصافه بالعقلانية . و التعليل لآراءه، و في ربطه الدين بمضامين أخلاقية تحدد بوضوح المرجعية الدينية التي اعتمدها وهي القران والسنة ليدعم بها رأيه ولتزيد من قوة دفوعه وحجاجه. وهذه النظرة التي كونها الجاحظ عن النصارى فيها درجة عالية من الانتقاص، غير أنه لا ينفي عنهم بأن لهم مهارات كالطب و الكتابة و المالية.... أسعفتهم على القرب من أصحاب القرار، و أنهم احتلوا مواقع مهمة إلى جانب السلطة و هذا ما يدل على أن الجاحظ التزم الواقعية في الأخبار عن غيره، و فيما يبديه من تعارض في تفاعله مع الآخر وقد أستمد تصوراته عن أهل الكتاب اليهود و النصارى من الكيفيات التي نظر من خلالها النص القرآني إليهم، وطبيعة التعبير عن الاختلاف الديني. فالقرآن الكريم قد انتهى إلى تشكيل صورة عن اليهود في غاية السلبية أما عن النصارى فهو أقرب منه إلى الإيجابية و إذا أعتبر المسيح – عليه السلام- نبيا مؤيدا بروح القدس﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾[1] و كذلك أوحي إليه بالإنجيل ﴿**وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ**﴾[2] و جعل فيمن أتبعه رحمة و رأفة و رهبانية ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[3]. يذهب الجاحظ إلى أن هذه الآية من أمتن الأسباب التي غلظت القلوب على اليهود و لينتها على النصارى فاستمالوا بها قلوب الرعاع و السفلة[4] و علق على ذلك بقوله"و في نفس الآية أعظم الدليل على أن الله لم يعن هؤلاء النصارى- يشير على طائفة النسطورية من النصارى- ولأشباههم الملكانية

[1] البقرة: 253.
[2] المائدة: 82.
[3] الحديد: 27.
[4] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى،ص 80 وما بعدها.

واليعقوبية و إنما ضرب بحيرا[1]- أو ضرب الرهبان الذين كان يخدمهم سلمان[2] و بين حمل قوله: ﴿ الذينَ قَالُوا إنَّا نَصَارَى﴾ على الغلط منهم في الأسماء، و بين أن نجزم عليهم لأنهم نصارى".[3]

إلى جانب هذا ذكر أسباب أخرى[4]، على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر ليّنت قلوب عامة المسلمين على النصارى و غلظتها على اليهود، وقد أفاض في تحليل هذه الأسباب و تفسير بالاعتماد على الشواهد التاريخية.

بسبب هذا كله دخل الجاحظ في جدال مع النصارى بالرد على ادعاءاتهم المتمثلة في بنوة المسيح والألوهية والتثليث وصحة الأناجيل....

فما هي الآليات التي استخدمها في ردوده؟ وكيف كان موقفه منهم؟ وكيف كان حكمه على عقائدهم؟

المبحث الثاني: الأناجيل تاريخها ومصادرها:

إذا أردنا معرفة المسيحية في نشأتها الصحيحة، فإن أصدق خبر عنها، هو ما جاء به القرآن الكريم .فالله سبحانه وتعالى أرسل المسيح عليه السلام بعقيدة التوحيد الخالص بكلّ عناصرها، قال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[5]

فعيسى – عليه السلام- ما دعا إلاّ إلى توحيد الله توحيدا خالصا، مؤيدا بكتاب سماوي هو الإنجيل مصدقا للتوراة ومؤيدا لصحيحها، ومبينا لما حرف منها، وهدى ونورا

---

[1] الراهب النصراني الذي لقي رسول الله بالشام قبل البعثة- في ركب قريش وكان الرسول صلى صغير السن لذلك فأعرف بحيرا انه هو النبي المنتظر والقصة المشهورة في كتب الصيغة: إبن هشام يسيرةالنبي (ص) تحقيق محمد الدين عبد الحميد، ط(بيروت، دار الفكر) ج1، ص، 194.

[2] قصة الصحابي الجليل سليمان الفارسي: المصدر نفسه، ص.136.

[3] الجاحظ: الرد على النصارى، ص82

[4] -المصدر نفسه، ص: 82- 83.

[5] المائدة : 116-117

وموعظة وحكمة لمن اتبعه – عيسى– وعمل بما جاء فيه –الإنجيل– وقد أيّده الله بالمعجزات الدّالة على صدق نبوّته قال تعالى:﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾[1]

هذا هو المسيح –عليه السلام– وهذه هي دعوته بأصولها الصحيحة كما أخبرنا بها القرآن الكريم، والتي تخالف تماما ما ذكره المسيحيون عن مسيحية عيسى – عليه السلام– من بعده. والقرآن الكريم يشهد على أن النصارى لم يحفظوا جميع ما وعظهم به المسيح حيث قال:﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[2] فلم يبق منها صحيح إلاّ مسمى الإنجيل، فما هو الإنجيل ؟

كلمة إنجيل[3] مشتقة من اللّفظ اليوناني أولها "إيف" ومعناها السرور، و"انجليوس" الخبر، فيكون المعنى الكامل "إيفانجليوس": الخبر السار المفرح. وهي تشير إلى "بشارة المسيح بخلاص البشر من الموت والخطيئة، وهذا الفن من الفنون الأدبية الملهمة خاص بالمسيحية دون سواها."[4]

والكلمة العربية للإنجيل وهي: " البشارة تشمل على هذا المعنى أيضا، أنها كتاب رسولي يختص بحياة المسيح على الأرض" [5] . وأصل هذه الكلمة وضعت للدلالة على "الرسالة التي كلّف الأب اليسوع تأديتها لشعبه، وقوام هذه الرسالة أن يرسخ المسيح يسوع ملكوت الله بين بني البشر. فهي إذا ملازمة ليسوع المسيح إلى درجة يمكن القول معها إن اليسوع هو نفسه الإنجيل البشرى السارة التي أعلنت للناس أجمعين" [6] وأصل الإنجيل كما يراه النصارى، هو: "الأقوال والأمثال التي يدلي بها عيسى لحواريه وأتباعه حياته

---

[1] المائدة : 110.

[2] المائدة : 14

[3] أحمد حجازي السقا : المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ ديدات و القسيس سواجارت،دط، (الجزائر،مكتبة رحاب، دت)، ص 49.

[4] نهى النجار، موسوعة الأديان السماوية و الوضعية –الديانة المسيحية–،ط1،(بيروت لبنان،دار الفكر اللبناني، 1995م)، ج6، ص33.

[5] أحمد حجازي السقا: المرجع السابق، ص 59.

[6] العهد الجديد (مقدمة)،ط1، (بيروت لبنان،جمعية الكتاب المقدس، 1995م).

على الأرض، –و هم يضيفون إلى ما سبق– الأحداث التي أحاطت بعيسى عليه السلام"[1] وانه موجود في تنبؤات العهد القديم، ويتمثل في " عبارات موجودة في الأسفار تتحدث عن مجيء المخلص المنقذ والفادي الذي سيأتي بالميثاق الجديد"[2].

وأمّا أصل الإنجيل في اعتقاد المسلمين هو ما أوحاه الله إلى السيد المسيح من المواعظ، والحكم والأحكام ليحكم به بني إسرائيل، وليوجههم به إلى إتباع الحق بعد أن ضلّوا عنه قال تعالى: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ**﴾[3]. وما بيّنته السنة النبوية، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي بسنده عن ابن هريرة –رضي الله عنه– قال:" جاءت فاطمة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– تسأله خادما، فقال لها: اللّهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيئ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن فالق الحب والنوى...". [4]

إلاّ أن الإنجيل الذي تعترف به الكنيسة اليوم، وتأخذ به –إذ هو المتضمن لعقائد النصارى– جاء بعد تلك الخلافات التي دارت حوله بسبب ما تعرض إليه من التحريف والتبديل، فكان هذا داعيا كبيرا إلى انقسام النصارى إلى طوائف، وفرق حوله، هذا الانقسام أدىّ إلى احتدام الصراع والنزاع بينهم، أدى بدوره هذا الأخير إلى ظهور عدة أناجيل، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

يقول محمد أبو زهرة:" إن التاريخ يحدثنا عن وجود أناجيل أخرى في العصور الغابرة أخذت بها فرق قديمة، لم تعتنق كل فرقة إلاّ إنجيلها" [5] وقد" أجمع على ذلك مؤرخو النصرانية".[6]

---

[1] السقا: المرجع السابق،ص59

[2] - فهى النجار: المرجع السابق،ص33

[3] آل عمران : 2-3-4.

[4] - أخرجه أحمد، في مسند علي بن أبي طالب، حديث 1239، المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر،دط،(مكتبة التراث الإسلامي، 1987م)، ج2، ص 299.

[5] - محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية، تقديم عمار طالبي، تصدير محمد الغزالي،دط، (الجزائر، شركة الشهاب، 1986م)، ص 40.

[6] المرجع نفسه، ص 113.

إذا فُتح الباب واسعا للخلافات حول حقيقة هذا الإنجيل المعتمد اليوم عند النصارى، وتاريخ تدوينه، وكاتبيه ومترجميه.....، يقول موريس بوكاي:" ظلّ الإنجيل خلال ثلاثين أو أربعين سنة موجود بشكل عام بصورة شفوية، فقبل سنة 140 لم تكن هناك شهادة يمكن معها معرفة مجموعة كتابات إنجليزية"[1]. وهذا السبب له ما يبرره حسب رأي بعض العلماء وهو "ما كان بسبب الاضطهاد الذي تعرضت له الكنيسة فترة طويلة، وبسبب اعتقاد تلاميذ المسيح أنه سيعود إلى الدنيا قبل أن يفنى ذلك الجيل الذي عاصره، ومن هنا فلا حاجة لكتابه الأناجيل" [2].

إلاّ أنه وجدت كتابات تناقلها بعض الأشخاص،" دونت في شكلها النهائي، وأطلق عليها اسم "العهد الجديد" في مدة لا تتعدى المئة من السنين، وباللغة التي كانت في أيام المسيح، اللّغة الآرامية، والتجارية السائدة في فلسطين"[3]. إذا اختيرت هذه الأناجيل الأربعة من بين الأناجيل الرائجة آنذاك، " اكتسبت وصفها القانوني في سنة 170 "[4] ، واعتبرتها الكنيسة أناجيل صادقة و لم تكتف بذلك، بل أرادت الناس على قبولها و اعتقاد في صحتها، ورفض غيرها، فصارت هي المعبرة دون سواها. وأول من ذكر هذه الأناجيل "أرنيوس في سنة 209، ثم جاء من بعده كليمانس إسكندريانوس في سنة 216، وأظهر وجوب التسليم بها"[5]

وهكذا أستقر رأي المسيحيين في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفرا من أسفارهم، " وقرروا بأنها هي الأسفار المقدسة من أسفرهم وقرروا بأنها هي الأسفار المقدسة [العهد الجديد NEVEAU TESTAMENT] الموحى لأصحابها من الرب بمعانيها لا بألفاظها في مقابلة أسفار اليهود المقدسة [أسفار العهد القديم TESTAMENT ANCIEN] ، وتسمية هاتين المجموعتين من الأسفار بهذين

[1] -موريس بوكاي : التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم، ترجمة لجنة من العلماء،ط2، (بيروت لبنان،دار الكندي، 1389هـ - 1978م)، ص 59.

[2] محمد السعدي: دراسة في الأناجيل الأربعة و التوراة،دط، (الدوحة،دار الثقافة، 1985م)، ص 25.

[3] سهى النجار: موسوعة الأديان ، ص 32

[4] موريس بوكاى: المرجع نفسه، ص 78

[5] محمد أبو زهرة:المرجع السابق، ص 113.

الاسمين لاحقة لظهور المسيحية"[1]. ومايقصد بكلمة "العهد" فيها هو: "ما يرادف معنى الميثاق ، أي كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس، والميثاق القديم هو الذي يرجع إلى عصر موسى، أمّا الميثاق الجديد بدأ بظهور عيسى"[2].

وترجع أسفار "العهد الجديد" إلى ثلاثة مجموعات، وسفرين، فالمجموعات هي: مجموعة الأناجيل الأربعة "متى، مرقس، لوقا، يوحنا" ومجموعة رسائل بولس وعددها أربع عشرة رسالة، ومجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل، وأمّا السفران، فهما سفر أعمال الرسل "للوقا، وسفر رؤيا يوحنا".

والذي يعنينا في هذا المبحث هو الأناجيل الأربعة التي تعرض لها الجاحظ بالدراسة والنقد، لأن مكان هذه الأناجيل التي تتصدر كتاب العهد الجديد الذي يعتبر مصدر العقيدة المسيحية مكان القطب والعماد، لأهم الأمور التي عليها من القصص، والعقيدة ، وشؤون التربية، والأخلاق، والزواج، فهي تشتمل على قصة مريم وحملها بالمسيح، وولادته ودعوته إلى دينه، واجتبائه للحواريين والتلاميذ، وصلبه وقيامته، ورفعه إلى السماء وتقرير ألوهيته، وبنّوته للأب، وأن الله عبارة عن ثلاثة أقانيم " الأب والابن وروح القدس..." وفي الجملة فإن هذه الأناجيل تشمل أخبار المسيح، وصلواته، وأقواله، وعجائبه من بدايته إلى نهايته في هذا العالم كما يعتقده المسيحيون.

ومن ثم فإن أي دراسة للعقيدة المسيحية ينبغي أن تنطلق من دراسة هذه الأناجيل التي ينفرد كل واحد منها بمميزات خاصة بسبب غرض الكاتب في كتاباته، والأشخاص الذين كتب لهم، ومصادره في ذلك، ولمعرفة كل هذا نبدأ ب:

إنجيل متى : يشغل إنجيل متى المكانة الأولى بين الأناجيل الأربعة في ترتيب تقديم كتب العهد الجديد " ومتى هو أحد الحواريين تلاميذ المسيح الإثني عشر"[3]، وهو " من أصل يهودي، وعرف باسم أخر هولاوى"[4].كان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب في كفر

---

[1] على عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام،دط، (الفجالة القاهرة،دار النهضة مصر للطباعة و النشر، دت)، ص 75.

[2] المرجع السابق، ص 75.

[3] محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص 42

[4] هبي النجار: المرجع السابق، ص 34

ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين للدولة الرومانية في عهد الإمبراطور طيباريوس (14،37م) [1].و قد "تبع متى عيسى –عليه السلام- عندما إختاره وصدق معه"[2]، وبعد رفع عيسى- عليه السلام- أعتبر متى من أشهر المبشرين بالمسيحية في بلاد الحبشة، وقد اختلفت الروايات حول تاريخ وفاته، ويقال أنه مات هناك[3] هذا عن متى، فما مدى صحة السند التاريخي لإنجيله؟

اختلف المؤرخون حول تاريخ تدوين هذا الإنجيل، وحول ترجمته. واتفق جمهور النصارى على أن متى ألّف إنجيله بالعبرية، وكلّ شخص فسرّه حسب قدرته. جاء في الموسوعة البريطانية " أن بابياس (Papias) أسقف هيروبولس (Hiropolies) المتوفى عام 130م، قال إن متى ألّف إنجيله بالعبرية وكل شخص فسرّه حسب قدرته ... لكن كون متى هو مؤلف الإنجيل أمر مشكوك فيه . وهي شهادة رجل يحتل مكانة مرموقة في الكنيسة المسيحية"[4].أمّا تاريخ تدوينه فقد أختلف فيه، ويذهب بوست إلى انه كان قبل خراب أورشليم[5].

إنجيل مرقس: نسبة إلى مرقس أحد أتباع المسيح، لم يكن من الحواريين، وقيل أنّه كان تلميذ لبطرس أحد الحواريين، ولد في القدس،وهو يهودي الأصل، تعتبره الطوائف المسيحية مجتمعة على أنه من بين السبعين الذين نزل عليهم الروح القدس، تنقل بين البلدان، وقام برحلات تبشيرية إلى إنطاكية وقبرص[6]. استقر في مصر وتركز نشاطه هناك حتى قتل على يد الوثنين، ويذكر المؤرخون أن ذلك كان سنة 62 م. أختاره أهل البندقية (فينسيا) حاميا لمدينتهم، وله في البندقية كنيسة تعد من أجمل كنائس العالم،و أفخمها، وأدقها عمارة..." [7]

[1] علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقةالإسلام، ص 70
[2] محمود محمد حمودة: التبيان في الفرق و الأديان،ط1،(عمان،مؤسسة الوراق، 2001)، ص 259.
[3] علي عبد الواحد وافي: المرجع نفسه ، ص 70.
[4] محمد السعدي: المرجع السابق، ص 15، 16.
[5] محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص115.
[6] المرجع السابق، ص 15، 16.
[7] علي عبد الواحد وافي: المرجع نفسه، ص 74.

هذا عن أمر مرقس فماذا يتعلق بصحة إنجيله؟

كتب مرقس إنجيله في روما يذكر ذلك أبو زهرة: "أنه كتب الإنجيل باليونانية وشرح فيه بعض الكلمات اللاتينية، وأخذ من ذلك إنه كتب في رومة"[1]. إلاّ أن تاريخ كتابة هذا الإنجيل قد أختلف فيه " ألف الإنجيل الثاني سنة 56 وما بعدها إلى سنة 65، والأغلب أنه ألف سنة 60 أو سنة 63"[2] كما كان الإختلاف حول كاتب هذا الإنجيل.

إنجيل لوقا : نسبة إلى لوقا، وهذا الإنجيل قد اختلفوا في شخصية كاتبه، في صناعته (مهنته)، وفي القوم الذين كتبوا لهم، وفي تاريخ تأليف إنجيله، و لم يتفقوا إلاّ على أنه ليس من تلاميذ المسيح.

كان لوقا يونانيا، ويرجح أنه أنطاكي الأصل[3]، إلاّ أن "بوست" يقول:" إنه كان رومانيا نشأ بإيطاليا"[4] ، ومهنة الطب التي نسب إليها، ليست أيضا موضع اتفاق، بل من المؤرخين المسيحيين من يقرون أنه كان مصورا[5]، وأديبا وثنيا اهتدى إلى المسيحية.[6]

أما ما يخص صحة الإسناد في إنجيله فالقول فيه: أجمع مؤرخو المسيحية على أن هذا الإنجيل كتب باللغة اليونانية، إلاّ أن الخلاف كان واسعا، هل كتب إنجيله لليهود أم لغيرهم؟ ومتى تمّ ذلك؟

إذن لم يتفقوا على سيئ فيه، إلاّ كونه ليس من تلاميذ المسيح، وأنّه من تلاميذ بولس.

إنجيل يوحنا: نسبة إلى مؤلفه وهو ذلك التلميذ الذي أحبّه يسوع، وأحد الإثني عشر رسولا، " إلاّ أن الملاحظات المعطاة من كبار الكتاب المسيحيين في مسألة كاتب الإنجيل الرابع تؤكد غموض الأمر حول هويته"[7]بشر بالمسيحية طوال حياته و توفي بأفسس غرب تركيا شيخا هرما[8].

---

[1] محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص119.
[2] المرجع نفسه، ص 120.
[3] لمى النجار: المرجع السابق، ص 37.
[4] محمد أبو زهرة: المرجع نفسه، ص 121.
[5] موريس بوكاي: المرجع السابق، ص 69.
[6] محمد السعدي: المرجع السابق) ص 12.
[7] على عبد الواحد وافي: المرجع السابق، ص 69.
[8] موريس بوكاي: المرجع السابق ، ص 70.

وعلي اعتبار أن إنجيل يوحنا هو أخطر الأناجيل المسيحية إذ أنه الوحيد الذي يتضمن ألوهية المسيح واعتمدت عليه الكنيسة في إقرار هده العقيدة فما مدى نسبة هذا الكتاب إليه؟

عدم نسبة هذا الكتاب إلى يوحنا، انطلاقا مما قرره علماء المسيحية مند القرن الثاني الميلادي أن هذا المؤلف لا يمكن نسبته إلى يوحنا بن زبدي، كما قرر أيضا خمس مائة من علماء النصارى أن إنجيل يوحنا لاشك انه كتاب مزور أراد أصاحبه مضادة اثنين من الحواريين ،وهما القديسان مرقس ومتى ... وقد أدّعى هذا الكاتب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاّتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ،ووضعت اسمه على الكتاب نصا ،مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا[1].

أضف إلى ذلك الاختلاف الكبير حول تاريخ تدوين هذا الكتاب، إذ لا يعرف تاريخ تدوينه على وجه التعيين، فأرجح الأقوال ترجع نسبة تدوينه إلى سنة 90 بعد الميلاد[2]. وبناء على هذا يتضح عدم نسبة هذا الكتاب إلى يوحنا.

هذه هي مصادر النصارى الدينية التي تتأسس عليها عقيدتهم ،بكل ما تحمله من أوجه الخلاف والاختلاف وهؤلاء هم مؤلفوها بكل ما يكتنفهم من غموض ، فكيف تعامل أبو عثمان الجاحظ مع كل هذا؟ وما هي المسائل التي أثارها في نقده لهذه المصادر؟

المبحث الثالث : رد الجاحظ على المصادر المسيحية

المطلب الأول: نقده لسند الأناجيل

انقطاع سند الأناجيل وتناقضها، هذه المسألة عالجها الجاحظ معالجة دقيقة وجيزة حيث يظهر متانة منهجه، ودقة نظرته، إذ تناول هوية كتبة الأناجيل بالنقد، أعتمدها كمدخل نقدي للأناجيل. حاول من خلالها عرض أصحاب الأناجيل التي بأيدي النصارى، وتحليلها مشيرا إلى أسمائهم، مؤكدا الغموض الشديد حول تاريخهم وحياتهم، وسيرتهم، أي الجهل بحالهم، وبعدهم عن صاحب الرسالة عيسى –عليه السلام– فبين هذه الحقيقة التي

[1] محمود محمد حمودة:، التبيان في الفرق و الأديان، ص 263-264.

[2] علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق ص 78

يؤمن بها الجاحظ، وبين ذلك الزعم من النصارى يتضح لنا موقفه. حيث يقول: "فإن سألونا عن أنفسهم فقالوا: ما لنا لا نعرف ذلك؟ و لم يبلغنا عن أحد بتة؟

أجبناهم بعد إسقاط نكرهم وتشنيعهم وتزوير شهودهم فجوابنا: أنهم إنما قبلوا دينهم عن أربعة أنفس، إثنان منهم من الحواريين بزعمهم[1]: يوحنا ومتى، وإثنان من المستجيبة[2] وهما مارقس[3] ولوقش[4] وهؤلاء الأربعة لا يؤمن عليهم الغلط، ولا النسيان، ولا تعمد الكذب، ولا التواطؤ، على الأمور والاصطلاح على اقتسام الرياسة، وتسليم كل واحد منهم لصاحبه حصته التي شطرها له.

فإن قالوا: إنهم كانوا أفضل من أن يتعمدوا كذبا، وأحفظ من أن ينسوا شيئا، وأعلى من أن يغلطوا في دين الله تعالى أو يضيعوا عهدا..

قلنا: إن اختلاف رواياتهم في الإنجيل، وتضاد معاني كتبهم، وإختلافهم في نفس المسيح، مع اختلاف شرائعهم دليل على صحة قولنا فيهم، وغفلتكم عنهم.

وما ينكر مثل لوقش أن يقول باطلا، وليس من الحواريين، وقد كان يهوديا قبل ذلك بأيام يسيرة.

و من هو عندكم من الحواريين خير من لوقش عند المسيح في ظاهر الحكم بالطهارة، والطباع الشريفة، وبراءة الساحة"[5].

هذا العرض يبين لنا مدى إطلاع الجاحظ على كتب النصارى التي بأيديهم، ومعرفتها معرفة جيّدة، سمحت له بالحكم عليها وعلى مؤلفيها، واصفا معتنقيها، محددا لأصولها وفروعها، موازنا بين قضاياها. وقد تأتى ذلك من خلال دراسته لها –الأناجيل- دراسة وثائقية، وتحليلها تحليلا نقديا منهجيا، مستخدما في ذلك عملية استقراء تاريخي دقيق أستهدف به فحص الظروف العامة والملابسات التي أحاطت بكتابة هذه الأناجيل، وحفظها، ونقلها، لتتوارثها الأجيال من النصارى، وتبقى عليها مصدرا تشريعيا لعقيدهم.

---

[1] يرفض الجاحظ دعوى النصارى أن يوحنا و متى من الحواريين.

[2] لعلة يقصد الذين استجابوا للدعوة النصرانية فيما بعد المسيح عليه السلام.

[3] مرقس SAINT MARK

[4] لوقا SAINT LUKE

[5] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 99- 100.

وقد كان غرض الجاحظ من هذا الفحص التاريخي تأكيده للظروف التي مّرت بها هذه الأناجيل، هذه الظروف كانت في رأيه مناسبة، لتحرفها، وتبدلها، وتغيرها.

يعد الوصف مهمة أساسية لمنهج الجاحظ في رده على النصارى، ونقده لعقائدهم،إذ وظيفة الوصف عنده تقوم على الملاحظة العلمية للظاهرة الدينية عند النصارى، و- غيرهم- للتعرف على حقيقتها، وليس أدّل على ذلك من الألفاظ النقدية التي كثيرا ما يوظفها في كتاباته مثل "زعموا " قبل أن يتناولها بالنقد، وبالرد أمّا منهج التحليل والمقارنة فقد أعتمده للمقارنة والمقايسة بين الأشكال المتجانسة، فنراه يعمد إلى المقارنة بين أصحاب الأناجيل قبل الدخول في عرض القضايا، أو النصوص المراد بحثها ومناقشتها، يريد بذلك أن لا يعمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه، ويعمد إلى أصل هذا فيقابله بفرع من فروع ذلك، فهو يقول: "فإذا رتبنا الأمور، وقدمنا الأصول، صارت أواخر المعاني في الفهم كأولها ودقيقها كجليلها"[1]، ويقول أيضا: "لابد من استجماع الأصول ومن استيفاء الفروع حتى نتمكن من الحجة ....و بالأصول قبل الفروع، حتى يكون لأخر الكتاب أخر القياس"[2] و قد أنطلق الجاحظ من التسليم بحقيقة الأناجيل فأعتمد في ذلك على المنهج التفسيري الذي يرى فيه تعلقا بالمنهج المتوسل به في بحثه، فهو يعكس لنا تصوراته الخاصة المتعلقة بالأناجيل -سندا ومتنا- حيث يبدأ اشتقاق قضاياه، مع تحديد وتعليل موضوع بحثه. لينظر بعد ذلك في الموقف الإسلامي المناسب منها، ثم يعقبه تفسير التوافق والاختلاف بين هذه الأناجيل، بالنظر في تلك العوامل بسبب تباين المنطلقات في التأويل وقد أتخذ التفسير عند الجاحظ صفة خاصة تمثل في الوحي والعقل.

استعان في نقده للأناجيل وإظهار زيفها وتحريفها، بمنطلقات الوحي الإسلامي النقلية قال تعالى:﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[3]. والعقل عنده " هو المستدل، والعيان والخبر هما علّة الاستدلال وأصله، ومحال كون الفرع

[1] الجاحظ ، خلق القرآن، (رسائل الجاحظ) ، تحقيق ،محمد عبد السلام هارون،ج3، ص 291.
[2] المصدرنفسه، ص 285.
[3] المائدة : 14.

من عدم الأصل، وكون الاستدلال مع عدم الدليل، والعقل مضمن بالدليل، والدليل مضمن بالعقل، ولابد لكل واحد منهما من صاحبه، وليس لإبطال أحدهما وجه مع إيجاد الآخر، والعقل نوع واحد والدليل نوعان أحدهما شاهد عيان يدل على غائب والآخر مجيء خبر يدل على صدق"[1].

والاستدلال عند الجاحظ مبنى على التعبد العقلي، والشرعي، والذي من مقتضاه تحريم الكذب في الأخبار عقلا وشرعا، فهو يقول :" ليس ينتفع مع الناس بالكلام في الأخبار إلاّ بالتصادق،، ولا تصادق إلاّ مع كثرة السماع والعلم بالأصول"[2]. ويقول أيضا : " وتعظمك الحق، والموالاة فيه"[3]. وهذا ما لم يلمسه الجاحظ عند من نسبت إليهم هذه الأناجيل، وأيضا عند العلماء من النصارى إذ يصفهم بقوله: "إن علماءهم وعقلاءهم فليسوا بمتحاشين من الكذب الصرف، والجراءة على البهتان البحث، وقد تعوّدوا المكابرة حتى دربوا بها الدرب الذي لا يفطن له إلاّ ذو الفراسة الثابتة والمعرفة الثاقبة"[4].

يرفض أيضا مبدأ التقليد لأنه ليس بطريق للعلم في أكثر من موضوع، فيقول: "ورغبتك عن التقليد وزرايتك عليه"[5]. وعبّر عن القاعدة في نفسي التقليد " إن التقليد مرغوب عنه في حجة العقل منهي عنه في القرآن"[6]. وهذا ما لم يلتزم به هذا الفريق من النصارى برأيه، إذ الإيمان عندهم مبني على ما شرّعه آباؤهم في كتبهم، وما أملته عليهم خواطرهم، فهم يزعمون " أنّ الدين إنما هو بالتسليم لما في الكتب والتقليد للآباء، فلو جاز التقليد في الإسلام لصحح اليهود، والنصارى اليهودية والنصرانية بالتقليد"[7]

لذلك دخل الجاحظ في جدال مع هؤلاء النصارى في مسألة اختلاف الروايات التاريخية حول بشرية المصادر الكنسية- الأناجيل- ومصدرها، والتي أخذت حيّزا كبيرا من

---

[1] الجاحظ: حجج النبوة، (رسائل الجاحظ)، تحقيق عبد السلام هارون، ج3، ص 226.
[2] المصدر نفسه ص 226.
[3] الجاحظ: خلق القرآن، المصدر السابق، ص 285.
[4] الجاحظ: الحيوان، تحقيق و شرح : محمد عبد السلام هارون، ج6، ص 202.
[5] المصدر السابق، ص285.
[6] الجاحظ : المختار في الرد على النصارى ، ص98.
[7] المصدر نفسه، ص95.

اهتمام الجاحظ خاصة، والنقاد المسلمين من بعده بصفة عامة باعتبار هذا الإختلاف القاعدة الأساسية، والنقطة الجوهرية التي يرون فيها منطلقا للحكم على نصوص الأناجيل ونقدها.

ولقد أبدى موقفا ظاهرا من النصارى، يبدو ذلك من خلال الاختلاف الحاصل معهم، حول وجود بعد بشري في الوحي والأناجيل، وهو ما كان يرفضه الفكر النصراني " فإن سألونا فقالوا ما لنا لا نعرف ذلك؟ ولم يبلغنا عن أحد بثة؟ أجبناهم بعد إسقاط نكيرهم، وتشنيعهم وتزوير شهودهم؟"[1].

يذكر الجاحظ أن النصارى لا يعلمون من هم رواة الأناجيل، ولا يعرفون عمن أخذوا كتاباتهم، ولم يبلغهم ذلك بالتواتر عن أيّ أحد منهم، ولا عن مشايخهم، فأراد أن يبطل زعمهم هذا بكشفه عن الإطار التاريخي الذي تكونت فيه هذه الأناجيل الأربعة، وأنه ليس بينهم إنجيل عيسى-عليه السلام-، وأن هذه الأربعة ما هي إلاّ صدى له، قام بها هؤلاء الأربعة نفر.

وبهذا أراد أن يؤكد بأن مصادر النصارى الدينية، ليست سوى عمل بشري في تكوينه، تحمل في طيّاتها من التناقض والاختلاف ما يخالف الواقع والتاريخ.

الجاحظ يرفض الثقة بالأناجيل ويطعن في روّاتها لأنهم غير جديرين بتلك الثقة، انطلاقا من المنهج الذي أتبعه لتحقيق النسبة بين الخبر ومصدره القائم على دعائم من اليقين العلمي المجرد لا على التقليد والإتباع. لأن " الخبر يرقى إلى أولى درجات (الصحة) عندما يتبين لدى التحري والبحث أن سلسلة السند متصلة من صاحب هذا الخبر ومصدره بنقل العدل الضابط إلى نهايته التي انبثق منها دون أن يحتوي الخبر على شذوذ في جوهره أو علّة في روايته، فإن تداني الخبر عن هذه الرتبة، بأن سقطت حلقة من سلسلة الرواية بسبب الجهل به، أو عدم الوثوق بعدالته، أو عدم اليقين بحفظه، أو بأن كان متن الخبر شاذا بالنسبة للمقبول من غيره، فهو غير صحيح"[2].

هذه القاعدة كانت سندا للجاحظ في حكمه على إبطال سند الأناجيل وعدم صحتها، فكيف كان ذلك؟

---

[1] المصدر السابق، ص99.

[2] محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكونية ،ط8، (دمشق سوريا ، دار الفكر،1402 هـ)، ص 35 .

ذكر الجاحظ أصحاب الأناجيل شخصا شخصا مؤكدا أنهم ليسوا من الحواريين، وإن زعم النصارى أنّ أثنين منهم من الحواريين، ومن ثم لا يؤمن عليهم غلط، ولا نسيان، ولا تواطؤ على الكذب، بدعوى أفضلية هؤلاء الأربعة، وسموّ مترلتهم وترفعهم عن ذلك فيقول: "إنهم إنما قبلوا دينهم عن أربعة انفس اثنان منهم من الحواريين بزعمهم، يوحنا ومتى، واثنان من المستجيبة وهما مارقش (مرقس)، ولوقش (لوقا) وهؤلاء لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان ولا تعمد الكذب، ولا التواطؤ على الأمور، والاصطلاح على اقتسام الرياسة، وتسليم كل واحد منهم لصاحب حصته التي شطرها له"[1]، وهو ما أشار إليه القاضي عبد الجبّار في تناوله لمسألة هوية كاتبي الأناجيل بقوله: "وعند هؤلاء النصارى أن هؤلاء الأربعة أصحاب المسيح وتلاميذه، لا يعلمون ولا يدرون من هم، ولا معهم في ذلك إلاّ الدعوى فقط"[2].

إلاّ أن اللافت للنظر أن الجاحظ حينما نسب الأناجيل لأصحابها "يوحنا، متى، مرقس، ولوقا"، خالف ما تأخذ به النصارى، فهم يجعلون أولها "متى، مرقس، لوقا، يوحنا" فعلى أيّ أساس أخذ الجاحظ بهذا الترتيب[3].

مما تقدم يلاحظ أن تعامل الجاحظ مع الأناجيل الأربعة، كان من منطلق بحثه عن مصدر الخبر، ومدى التحقق من نسبة الخبر لصاحبه، ومن صحة المصدر الذي نقل منه. وقد توخى في ذلك منهجا علميا مبنيا على أسس معرفية، أو علمية، وهو الأمانة والدقة، لا على التقليد، يقول:" وما ينكر من مثل لوقش أن يقول باطلا وليس من الحواريين، وقد كان يهوديا قبل ذلك بأيام يسيرة، ومن هو عندكم من الحواريين خير من لوقش لوقا عند المسيح في ظاهر الحكم بالطهارة والطباع الشريفة، وبراءة الساحة"[4].

---

[1] الجاحظ : المختار في الرد على النصارى، ص 99.

[2] القاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوّة، تحقيق عبد الكريم عثمان، دط،(بيروت الدار العربية للطباعة و النشر و التوزيع، 1966م) ص 155.

[3] عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى غاية القرن الرابع الهجري،دط، (تونس الدار التونسية للنشر، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م)، ص 419-420.

[4] الجاحظ : المصدر نفسه، ص 100.

ومن ذلك يمكن القول بأن الجاحظ أعتمد في رده ونقده لسند الأناجيل والطعن في رواتها على عاملين أساسيين هما:

- نقد هويتهم، وصدقهم، وأمانتهم في القول والأداء.
- اختلاف رواياتهم في الإنجيل وتضاد معاني كتبهم.

وقد أعتمد في ذلك على أدلّة تاريخية ونقلية، فالتاريخية ليتأكد من إمكانية تلقيهم عن المسيح –عليه السلام–.

العامل الأول: وهو كون نسبة الأناجيل إلى مؤلفيها غير مقطوع بها ، وأنهم ليسوا شهود عيان لما كتبوه، وأنهم غير ملهمون، وغير متصلين بالمسيح فمتى يقول:"فيما هو مجتاز من هناك –يعني المسيح– رأى إنسان جالسا عند الجباية فدعاه عيسى إلى إتباعه".[1]

فلو كان متى هو كاتب هذا الإنجيل لما تحدث عن نفسه بصفة الغائب، ومن المسلم به أن متى قد أعتمد في كتابة إنجيله على مرقش، " فقد احتوى 90% من محتويات إنجيل مرقس"[2]، لذلك ليس في كتابه رأيت ، ولا سمعت، ولا كنت. ومنه يتبين أن سلسلة السند غير متصلة من صاحب هذا الخبر ومصدره. وأن الخبر يحتوي على شذوذ في جوهره، وعلّة في روايته،كما أنه سقطت حلقة الرواية لسبب الجهل به (متى). يقول موريس بوكاي :" ننقل صراحة أنه لم يعد مقبولا اليوم القول أنه (متى)أحد حواري المسيح" [3] .

كذلك القول بالنسبة لمرقس :وأمّا كون مرقس من الحواريين ما جاء في رسالة بطرس الثانية :" وتسلّم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقس ابني "[4] فهذا القول – ابني– يدّل على أن مرقس كان صغيرا عندما كتب بطرس هذا الكلام، وهو بالتالي لم يشهد مجالس عيسى –عليه السلام– و لم يكن معه ليلة القبض عليه... "ولقد أكّد الأسقف بابياس المتوفى عام(130 م)أن مرقس لم يكن قد سمع من المسيح،ولا كان تابعا شخصيا له"[5]

---

[1] متى:9/9.
[2] محمد السعدي: المرجع السابق، ص17.
[3] موريس بوكاي: المرجع السابق، ص64.
[4] رسالة بطرس الثانية: 13/5.
[5] السعدي: المرجع نفسه، ص 31.

لوقا :في مطلع إنجيل لوقا دليل قاطع من الإنجيل نفسه أن لوقا لم يكتب بوحي فهو قال:" إذا كان الكثيرون قد أخذوا في إنشاء رواية الأحداث التي جرت فيها بيننا على حسب ما سلّمها إلينا الذين كانوا من البدء شهود عيان ،ثم صاروا خدّاما للكلمة رأيت أنا أيضا بعد **أن تحققت بدقة جميع الأشياء من البدء أن أكتبها إليك أيها العزيز ثاوفليس**"[1].فهو يقول كما سلّمها إلينا الذين كانوا من البدء شهود عيان ،أي أ نه لم يكن هو حاضرا، ولا شاهدا ،وأنه هو وكثيرون راحوا يكتبون قصة للأحداث التي جرت، فلم يكتب بوحي .

يوحنا:"هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق، وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع أن كتبت واحدة واحدة، فلست أظن أن العالم كلّه يسع الكتب المكتوبة"[2].

نلاحظ أن المؤلف هنا يتحدث بصفة الغائب ، وأن يوحنا هذا مجهول كما تقدم الحديث عنه.

العامل الثاني: اختلافهم في نقاط هي في غاية الأهمية، مثلا ما يتعلق بنسب المسيح في إنجيل متى، ولوقا، فبالمقارنة بين النسبين، نجد اختلافا عظيما، لكل منهما جعل للمسيح-عليه السلام- نسبا مغايرا تماما للآخر، فمتى جعله من نسل سليمان بن داود، بينما جعله لوقا من نسل ناثان بن داود، ولاشك في أن النسب بين الاثنين فيه اختلاف بالرغم أنهما يلتقيان في داود عليه السلام .

ثم أن عدد الأجيال في كل منهما مغاير تماما للآخر،" فمتى جعله (أي عدد الأجيال) من سليمان إلى يوسف زوج مريم (27) جيلا، بينما يجعله لوقا من ناثان إلى يوسف زوج مريم (42) جيلا ،ويقول "متى" إن والد يوسف زوج مريم هو يعقوب، بينما يقول "لوقا" أنه هالي"[3].

---

[1] لوقا :4/1.

[2] يوحنا : 24/21.

[3] موريس بوكاي: المرجع السابق، ص 85 و ما بعدها ، و محمد على الخولي: مقارنة بين الأجيال للأربعة،دط، (الأردن،دار الفلاح، 1993م) ، ص 19 .

فحين يقول لوقا :أن والد يوسف خطيب مريم هو هالي، وأن نسب يوسف يرجع إلى ناثان بن داود. وحين يقول متى :إن والده هو يعقوب، وأن نسبه يرجع إلى سليمان بن داود.

نقول :الروايتان تتناقضان، لأنه يستحيل الجمع بينهما، حيث لا نستطيع أ ن نقول أن يوسف ولده أبوان معا هما سليمان وناثان ؟ . ولا نستطيع أن نقول :إن جده الأول ولده أبوان معا سليمان وناثان ؟ وأمثلة ذلك كثيرة ، وما ذاك إلاّ دليل على عدم إلهامية هذه الكتب، لأنها لو كانت من لدن الواحد الأحد الفرد الصمد لما كان فيها أي تناقض.

المطلب الثاني : نقد الجاحظ متن الأناجيل

استعرضنا في المبحث السابق تحليلات ونقد الجاحظ لسند الأناجيل فتبين لنا بوضوح البعد البشري لأصل هذه الأناجيل وأنها لم تكتب بوحي أو إلهام، وقد أقر بذلك مؤلفوها، فيستلزم هذا القول بأنها غير معصومة، ولا تكتسب صفة الموثوقية المطلقة لكون أصحابها معّرضون بالضرورة لما يطرأ على الإنسان من الخطأ والنسيان. وما وجود الاضطراب والتناقض بين نصوصها إلاّ دليل على بطلان دعوة الإلهام، فالوحي لا يمكن أن يتناقض كما هو الشأن في الأناجيل، لذلك توجه الجاحظ بالنقد الموضوعي لمحتواها.

الجاحظ لم يوجه النقد لإنجيل دون الأخر، إنما طعن في الأربعة معا نظرا لاختلاف وتناقض نصوص الأناجيل فيما بينها، بل في نصوص الإنجيل الواحد، والذي لا يخفى على عاقل في الوقوف على هذه الحقيقة الواضحة بمعانيها وألفاظها وتراكيبها التي تخالف الواقع وتناقض بديهيات العقل لما فيها من السخف، والمحال والباطل والكذب الظاهر الشيء الكثير، الذي لم يتزله الله على عيسى- عليه السلام- و لم يشهد به القرآن الكريم، و لم تقّر به العقول السليمة والقلوب المؤمنة من النصارى فكان حكم ذلك البطلان وعدم الصحة لأنها لا ترتكز على وحي إلهي لقوله تعالى :﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيرا**﴾[1]

[1] النساء : 82.

ونحن إذ نريد تتبع الجاحظ في نقده لمضمون الأناجيل لابد أن نكشف على الكيفية التي عالج بها هذه النصوص.

الجاحظ يرد مسبقا على الذين يعترضون على أصحاب الأناجيل " كانوا أفضل أن يتعمدوا كذبا وأحفظ من أن ينسوا شيئا وأعلى من أن يغلطوا في دين الله تعالى أو يضيعوا عهدا..."[1].بقوله: " إن اختلاف رواياتهم في الإنجيل وتضاد معاني كتبهم واختلافهم في نفس المسيح، مع اختلاف شرائعهم دليل صحة قولنا فيهم وغفلتكم عنهم"[2]. وتفصيل هذا الكلام جاء في قول القاضي عبد الجبّار: " وهم يتفقون في مواضع ويختلفون في مواضع، وفي بعضها ما ليس في بعض [..] وفيها من المحال والسخف والباطل والكذب الظاهر والتناقض البين شيء كثير وقد تتبعه الناس وأفردوه، وإذ قرأه المتأمل عرف ذلك"[3]. ولعلّ هذه القراءة لمجموعة من نصوص الأناجيل –سيأتي ذكرها- على كثرة ما أحتوى تبين بوضوح التناقضات والتحريفات بين هذه الأناجيل في الموضوعات التي لا تقبل إلاّ حقيقة واحدة، فهي نصوص لا تحمل في معانيها إلا الباطل، والكذب الظاهر والتناقض البيّن الذي تأباه العقول السليمة، وترفضه الفطرة الصحيحة، وتتبرأ منه شريعة الوحي قال تعالى:﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾[4]. وهذا ما سمح للجاحظ أن يركّز على مواطن الإختلاف والاتفاق بينها ليدخل إلى أعماق الأشياء فيها لمعرفة خباياها وأسرار تراكيبها، وليكشف عن العناصر الخفية بينها.

وقد وظّف الجاحظ من الأدلّة العقلية والنقلية ما يميز به بين صحيح المتن وبين زائفه، وتحقيق هذا الأمر إنما هو قائم على أدّلة يقينية تعتمد الاستقراء، " فعلماء الإسلام لا يمكن أن يقيموا حكم عقلي أو عقدي إلاّ على أساس الحقيقة التي تجمعت فيها مقومات اليقين"[5]. وأهم " يتبعون المنهج الاستقرائي في كل ما لم يمكن إخضاعه للتجربة والمشاهدة"[6].

---

[1] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 39.
[2] المصدر السابق، ص 39.
[3] القاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوّة، ص 154.
[4] المائدة : 13.
[5] محمد رمضان البوطي: المرجع السابق، ص 46.
[6] علي عبد المعطي محمد، محمد السرياقوسي: أساليب البحث العلمي،ط1، (بيروت،مكتبة الفلاح، 1140هـ - 1988م) ، ص 104.

فالجاحظ كان تفكيره استقرائيا بشكل إجمالي، فهو عند ما يتعرض إلى مسألة ما إنما يتأملها ويلاحظ ما يتصل بها وما يصدر عنها، ويجمع ملاحظاته حولها، ثم يستنبط أحكامه العامة وقواعده الكلية من خلال ما رصده من حوادث جزئية، ثم يلجأ بعدها إلى الاستنتاج، فيبدأ أولا بجمع النصوص، ثم تفسيرها لمعرفة الصحيح من الزائف. وتفصيل ذلك من خلال هذه الأمثلة:

- ففي إنجيل يوحنا: " إن عيسى عليه السلام قال للحواريين وهو يتعشى معهم في الليلة التي أخذه فيها اليهود الحق أقول لكم إن واحدا منكم يخونني فقال له يوحنا يا سيدي من يكون ذلك فقال له عيسى الذي نعطيه الخبز مصبغا بالمرق، ثم أعطاه اليهود أسخريوطى وهو الذي خانه وذلّ اليهود عليه"[1].

- وفي إنجيل متى" إن عيسى قال لهم إن الذي يصبغ خبزه في صحفتي هو الذي يخونني"[2].

- وفي إنجيل مرقش" إن عيس قال لهم : إن الذي يصبغ خبزه معي في القصعة هو الذي يخونني"[3].

- وفي إنجيل لوقا " إن عيس قال عن الذي يخونني هو معي في تلاميذي"[4].

وتفسير هذا القول من عيسى فيه اختلاف بيّن، وهذا الإختلاف دليل أن هؤلاء الأربعة الذين كتبوا الأناجيل كل واحد عبّر عن قوله بعبارة من عنده [5]، وهذه الاختلافات يستحيل الجمع بينها لأنها تتضارب وتتناقض بحيث يمتنع التوفيق بينها وبالتالي فقبولها غير ممكن وغير معقول أيضا.

[1] يوحنا: 13/21-26.
[2] متى: 26/23.
[3] مرقس: 14/17-20.
[4] لوقا : 22/21.
[5] أنظر في ذلك الترجمان عبد الله؛ تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تحقيق محمود علي حماية،ط3، (القاهرة،دار المعارف، 1992م)، ص115.

كما ذكر متى:" لما طلب الكتبة والفريسيون من المسيح أن يريهم أية (معجزة) فقال: لا جيل شرير فاسق لن يعطى آية إلاّ آية يونان"[1] هنا تصريح بأن هذا الجيل يعطى آية واحدة .

أما مرقس فإنه ينقض هذا الكلام :" لماذا يعطى هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية"[2] فنفى هنا أن يعطى هذا الجيل آية.

وهذا تناقض صريح مع واقع المعجزات التي جرت على يد المسيح لإثبات رسالته، وقد أثبتها القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي**﴾[3].

الجاحظ يستدل على صحة قوله استنادا إلى القرآن الكريم ، وانطلاقا من اختلاف الأناجيل وتضاد معانيها في نفس المسيح، يقول: " إن اختلاف رواياتهم في الإنجيل، وتضاد معاني كتبهم واختلافهم في المسيح..... دليل على صحة قولنا فيهم، وغفلتكم عنهم"[4].

إذن صحيح تماما ما يقوله عن اختلاف الأناجيل وتناقضها بل وأخطائها أيضا، واختلافها في نفس المسيح، فهو يلفت الأذهان إلى مسألة في غاية الخطورة، ألا إنها غموض قولهم في المسيح -عليه السلام- وتعقده وتدابره وتعانده، وكان الجاحظ أول من ناقش هذه النقطة، وأخذها عنه علماء المسلمين الذين جاءوا من بعده، واهتموا بالمقارنة بين الأديان، مثل القاضي عبد الجبار وأبي الوليد الباجي، والقرطبي، والخزرجي،والجويني[5].

كما يلفت النظر إلى مسألة إنكار النصارى لكلام عيسى -عليه السلام- في المهد واتهامهم المسلمين بالكذب عليهم فيها " فهم ينفون أن يكون عيسى -عليه السلام- قد

---

[1] متى: 39/12.
[2] مرقس: 11/8
[3] المائدة: 110.
[4] الجاحظ : المختار في الرد على النصارى، ص 39.
[5] المصدر نفسه . والصفحة نفسها.

تكلم في المهد، ويزعمون أن القرآن أفتراه عليهم ورواه من غير التقات"[1] قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[2]. ودليلهم على ذلك أن اليهود لا يعرفونه وكذلك المجوس والخزر والديلم.

ما ذكره القرآن من كلام عيسى في المهد كان مثارا لاعتراض النصارى، وملخص كلامهم أنهم، رغم تمجيدهم له -عليه السلام- لا يعرفون له تلك المعجزة، و لم تسجل في الإنجيل رغم أن الكلام في المهد أعجب من كل عجب إذ هو أمر ينفرد به عيسى دون سائر الأنبياء، فضلا على أن الخداع فيه غير ممكن، فالطفل الرضيع لا يستطيع حيلة ولا تمويها[3].

أراد النصارى أن يجعلوا لكلامهم هذا حجة ظاهرة وبيانا واضحا بأن ما زعموه، إنما هو إجماع الأمم من حولهم محاولة منهم تمويه الحقائق الثابتة والوقائع التاريخية الملموسة، فكانت دليلا على فشلهم في بلوغ أهدافهم. فالجاحظ أقام عليهم دليلا كافيا شافيا من واقع هذه الأمم وتاريخها وشرائعها ومعتقداتها ليبطل فيه كل مزاعمهم. فهو يرد عليهم قولهم بأن اليهود لا يقرون لعيسى بأية معجزة[4]. بل يرون أنه كان صاحب رقي وشعوذة وحيل، وأنه كانت عنده معرفة بالطب والكتب، وأن ما يروى عن شفائه المقعدين إنما كان باتفاق سابق بينه وبين بعض الناس تظاهروا بأنهم مرضى فشفاهم. أما بالنسبة لمن قيل إنه أحياه بعد موته فلم يكن في زعمهم ميتا، بل كان الأمر مجرد إغماء ، فأنتهز عيسى الفرصة وأوهم الناس أنه كان ميتا و بأنه أعاد إليه الحياة.

وبالمثل فالمجوس لا تقر لعيسى بأية معجزة[5]. أما الهند والخزر والترك فإنهم لا يعترفون لنبي بأية معجزة[6] بل لا يروون سيرة أي منهم، فلماذا الاستشهاد بهم في مسألة كلام عيسى في المهد[7]:

---

[1]. المصدرالسابق ، ص 33.

[2] مريم : 29- 30.

[3] الجاحظ : الرد على النصارى،(رسائل الجاحظ)، تحقيق عبد السلام هارون، ج3، ص: 252.

[4] المصدر السابق، ص 34-35.

[5] المصدرالسابق، ص 36.

[6] المصدر نفسه، والصفحةنفسها.

[7] إبراهيم عوض: مع الجاحظ في الرد على النصارى،دط، (القاهرة: مكتبة زهراء، 1419هـ - 1999م)، ص16 و ما بعدها.

إنما لتقوية أمرهم ، فالنصارى إذا ما طوردوا على المستوى العقلي لجئوا إلى النقل إلا أن الجاحظ لا يدعهم دون أن يحاسبهم.

هذا بالنسبة للاختلاف النصارى في المسيح نفسه، وكيفية رد الجاحظ عليهم والقول كذلك في اختلاف شرائعهم بنصوص أناجيلهم رد عليهم بقوله:" إن اختلاف رواياتهم في الإنجيل، وتضاد معاني كتبهم [...] مع اختلاف شرائعهم دليل على صحة قولنا فيهم وغفلتكم عنهم"[1].

متى يقول عن مريم:" وجدت حبلى من الروح القدس"[2]. إذا لم يكن حملها طبيعيا وليس من يوسف. هكذا يقر "متى"، فكيف يكون عيسى بن يوسف ليس الذي حملت منه مريم؟ معنى هذا أن النسب في إنجيل"متى"[3] لا أساس له على الإطلاق،و هوكلام في غير محلّه حيث أنه يتناقض مع "متى"، التناقض فوري وعلى نفس الصفحة هناك عيسى بن يوسف، ثم بعدها بسطر نقرا أن مريم حملت من الروح القدس، إذا أبوه ليس يوسف! ! !

وهكذا هناك ثلاثة عشر خطأ و تناقضا واختلافا في الصفحة الأولى من إنجيل ولك أن تتصور الباقي[4].

ومن التناقضات والإختلافات حول قولهم بالتجسيد جاء في إنجيل يوحنا "الكلمة صار جسدا وحلّ بيننا"[5] نلاحظ في قول يوحنا هذا: الكلمة معناها "الله " عندهم حسب يوحنا " وكان الكلمة الله"[6]، ومعنى الجملة يصبح الله صار جسدا حلّ فينا ، أي أن الله تجسد في عيسى. وهذا يعني أن عيسى هو الله بزعمهم!.

هذا المعنى يناقض يوحنا " الله لم يره أحد"[7]، إذا كان الله صار جسدا، فهذا يعني أن الناس رأوه وهذا يناقض يوحنا الذي يقول إن الله لا يرى، وهذا يعني تناقض يوحنا مع نفسه. .

[1] المصدر السابق، ص 39.
[2] متى: 14/1
[3] متى: 18/1
[4] محمد علي الخولي: المرجع السابق، ص 20.
[5] يوحنا: 14/1.
[6] يوحنا: 1/1.
[7] يوحنا: 18/1.

وأما التناقض والإختلاف في قولهم بالابن الوحيد، يقول يوحنا:" إن عيسى هو ابن الله" [1] ولكن هذا يناقض لوقا[2] الذي جعل أدم أيضا ابنا لله.

وأما تناقض معانيهم واختلافهم في صلب المسيح تكفيرا عن خطيئة أدم، ما جاء في إنجيل متى " يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته المعاثر وفاعلي الإثم ويطرحونهم في أتون النار"[3]، ففي هذا الكلام نلاحظ:

1- عيسى اسمه (ابن الإنسان) وليس (ابن الله)كما يزعمون.

2- وأن النص جعل لعيسى "ملائكة" وجعل الملائكة تابعين له. وهذا يخالف بشرية عيسى التي يدل عليها النص ذاته. كيف يكون عيسى إنسانا وتكون الملائكة تابعة له في الوقت ذاته؟ تناقض في جملة واحدة.

3- النص يدل على معاقبة الآثمين والأشرار يوم القيامة. وهذا يدحض زعم النصارى بأن صلب عيسى كان لافتداء الناس من خطاياهم. الخطايا موجودة والخاطئون موجودون والنار موجودة فلماذا كان الصلب إذا وما فائدته؟

يدل النص على وجود النار يوم القيامة وأن البعث للأبرار فقط وأن الأشرار يعاقبون في الدنيا فقط. وهذه الأمثلة المذكورة إنما هي غيض من فيض لأوجه اختلاف الأناجيل وتناقضها في الأمر الذي لا يقبل إلاّ حقيقة واحدة مما يدل على أن مؤلفي هذه الأناجيل مشتتوا الأفكار، وموزعوا الأهواء متنافرون لم يلتق بعضهم ببعض ، ولم يعيشوا في عصر واحد، وهي دواع كافية لوجود هذه الأخطاء الفاحشة، و" هذا باعتراف من علماء اللاّهوت والرهبان بتناقض متون الأناجيل"[4].التي أفاض العلماء المسلمون في دراستها وفحصها، يقول القرافي:" في هذه الأناجيل الأربعة من التناقض والتعارض والتكاذب ومصادمة بعضها لبعض أمر عظيم، حتى أن من وقف عليها يشهد بصريح عقله أنها ليست الإنجيل المنزل من عند الله تعالى، وأن الكثير من أقوال الرواة وأقاصيصهم، وأنّ نقلته أفسدوه

[1] يوحنا: 18/1

[2] لوقا: 38/3.

[3] متى: 41/13.

[4] عزبة طه: الثبّت في قبول الأخبار في رسالات السماء، (مجلة الشريعة و الدراسات القرآنية، جامعة الكويت، السنة السادسة، العدد 15، 1410هـ - 1989م)، ص111.

"بما ألحقوا فيه من حكايات وأمور غير مسموعة من المسيح -عليه السلام-"[1] وهذا ما يعلمه الواقف عليها كما قال ابن قيم الجوزية: " فيها-الأناجيل- من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين في العلم، وهم يعلمون -النصارى- أن ذلك ليس في الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح"[2].

وخلاصة قولنا فيما عرضناه من مسائل الأناجيل التي تناولها الجاحظ هي:

- أثار الجاحظ قضية سند الأناجيل ومتنها ،فدرسها دراسة علمية عميقة مرتكزا على أسس منهجية متينة. حيث طعن في رواة الأناجيل للجهل بحالهم، إذ أنهم غير معروفي الهوية، مع عدم اتصالهم بالمسيح، وأنه لا يعرف عمن أخذوا رواياتهم، لتكون بذلك مرفوضة لأنها رواية مجهولين، فلا يعتد بها لكونها ليست من المتواتر من الأخبار، وأن إثبات السند التاريخي والكتابي لهذه الأناجيل يبطل إدّعاء القول بالإلهام في كتاباتها.

- فتح الجاحظ باب الجدل حول مصدرية هذه الأناجيل وكشف عن منهجه الذي قام بتفصيله وتعميقه علماء الجدل المسلمين من بعده :" كابن حزم والجوزي والقرافي، وغيرهم، ثم أخذه عنه بعد المنصفين من علماء اللاّهوت النصارى ومفسري الأناجيل مثل جون مارش مفسر إنجيل يوحنا، وموريس بوكاى، وأفاد منه المهتدون إلى الإسلام من الذين كانوا يدينون بالنصرانية وكتبوا رسائل وكتب في المقارنة بين الديانتين، وفي الجدل ضد أصحابهم السابقين مثل القس"أسليموثورميدا" الذي أصبح يعرف بعبد الله الترجمان"[3].

إلاّ أنه ما يلاحظ على الجاحظ أنه ركزا على الأناجيل الأربعة من بين مصادر العهد الجديد، مع غياب التتبع المنظم لمواطن الطعن في هذه الأناجيل .

وأخيرا هذه الأناجيل التي تؤسس لعقيدة النصارى اختلفت في كل شيء، وتناقضت في كل ما روت فماذا يصدق فيها؟ وماذا لا يصدق؟ فلو انّها كانت من كلام الله

[1] القرافي: الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة،ط1، (بيروت لبنان،دار الكتب العلمية، 1986م)، ص 22.
[2] ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى، تحقيق عصام فارس الحرستاني،ط1، (بيروت لبنان،المكتبة الثقافية، 1994م)، ص 101
[3] الشرقاوي: مختار في الرد على النصارى للجاحظ، ص 37.

لما ظهر فيها كل هذا لأنّ الكتاب السماوي الذي يريده الله ختاميا للناس هاديا لهم أجمعين، لا بد أن يحفظه من أيّ تحريف، أو زيادة، أو نقصان...إلخ

وهذه الميزة –ميزة الحفظ– خصّ بها القرآن الكريم، وهي من معجزاته الدّالة على أنه كتاب الله للناس أجمعين قال تعالى:﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون**﴾ [1]، وعدا من الله وصدقا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] الحجر : 9.

الفصل الثالث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

لا تخلو دراسة عقيدة النصارى من الحديث عن شخصية المسيح - عليه السلام- فهذه الشخصية تعد محور تلك العقيدة، ولكنها رغم أساسيتها ومحوريتها، كانت محلّ خلاف كبير تباينت فيه الآراء و تعددت المواقف و هذا ما عبّر عنه الجاحظ بقوله: " ولو جهدت بكل جهدك، و جمّعت عقلك على أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت عليه حتى تفهم به حد النصرانية".[1]

و السبب في ذلك هو غياب المرجعية الدينية ممثلة في الوحي الإلهي الذي يحتكم إليه في أمور العقيدة و الدين لقوله تعال: ﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾[2]، ولهذا السبب كان اتفاق النصارى على الأخذ بعقيدة واحدة محلّ نقاش طويل بينهم أدّى إلى خصومتهم في حقيقة شخص المسيح، وقد ظهرت تيارات و مذاهب تنازعت فيما بينها لفترة طويلة حول هذه الشخصية، ما دعا إلى عقد مجامع مسكونية نوقشت فيها طبيعة المسيح و قررت تلك المجامع القول بعقيدة التثليث، و التجسد، و الصلب والفداء، و لتوضيح هذه العقائد لا بد من معرفة هذه المجامع نظرا لأهميتها و دورها الخطير في تحريف المسيحية . و نبدأ بعقيدة التثليث في نشأتها وتطورها، والخلاف حولها.

المبحث الأول: الأصول التاريخية والخلاف العقدي حول التثليث

المطلب الأول: الأصول التاريخية لعقيدة التثليث

عقيدة التثليث من أقدم العبادات الوثنية الضاربة في عمق التاريخ، حيث: لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث، أو الواحد

[1] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 95

[2] النساء: 59

الثلاثي(أي الأب والابن وروح القدس).[1] فقد عبد الإنسان القديم ثلاثة آلهة، وهذا العدد ما هو إلاّ تحديد للعدد الكبير الذي بولغ فيه، كما أن له صلة بعبادة الأبطال، تلك العبادة التي بدأت منذ فجر التاريخ. فقد كانت الجماهير تعبد البطل لعمل رائع قام به، ثم يتخذ البطل له زوجة فتحتل معه مكان الألوهية، وتسجد لهما الجماهير، وبعد الإنجاب يعين البطل من أبناءه من يتولى فيما بعد مكانه، فتسجد له الجماهير، ويتم بذلك الثالوث[2]،الذي أصبح معبودا معروفا في جميع الثقافات القديمة، قال به المصريون القدماء، وقال به الآشوريون والبابليون والفرس والهنود والصينيون واليونان على اختلاف في عدد الآلهة، ومكانتهم واختلاف في تصور صلة الآلهة ببعضهم البعض، أو صلتهم بالبشر.

فالبابليون هم أول من قال بالثالوث، وهذا في الألف الرابعة قبل الميلاد.[3] إذ عرفت أرض بابل التعدد والوثنية منذ زمن بعيد، فنظموا آلهتهم أثلاثا، وجعلوها مجموعات تتكون كل مجموعة من ثلاثة وهي متميزة المكانة والقدر. شكلت المجموعة الأولى رأس الآلهة المكونة من: "إله السماء، وإله الأرض، وإله البحر، وأمّا الثانية فإله القمر، وإله الشمس وإله العدالة".[4]

وترجع نشأة أهم ثالوث وأوله في الديانة البابلية إلى قصة الخلق، ففي البدء كان العدم ثم ظهر الماء العذب وماء البحر، فسميّ إله المياه العذبة أبيسو، وإله المياه المالحة تيامات، وأنجب أبيسو وتيامات بتزاوجهما أول ثالوث.[5]

كما عرف البابليون الكلمة وكانوا يسمّونها ممرا، ويقولون بأنها خالق العالم وحاكمه، وليس أعظم منها غير الله.[6]

---

[1] محمد بن طاهر التنير البيروني: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، ط1 (بيروت،دار عمران ، القاهرة مكتبة الزهراء ، 1414هـ - 1993 م)، ص 55 ، و محمد علي بروا العالمي: الكتاب المقدس في الميزان، ط3، (بيروت،الدار الإسلامية، 1993 م)، ص334

[2] توماس كارليل: الأبطال، ترجمة محمد السباعي، ط3،(مصر، المكتبة المصرية بالأزهر، 1930م)، ص 50-52.

[3] أحمد شلبي: المسيحية، ط8،(القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،1984م)، ص 153

[4] مصطفى شاهين: النصرانية تاريخا و عقيدة و كتب و مذاهب، (دراسة و تحليل و مناقشة) ، دط،(القاهرة، دار الاعتصام، دت)، ص 224.

[5] Saurat Denis, Histoire du réligons, (Paris les édition Donoel et Stell 1993),PP 97-98

[6] أحمد عبد الغفور عطار: الديانات و العقائد في مختلف العصور، دط،(مكة المكرمة، 1981م)، ص 615.

هذا الثالوث يشبه ثالوث النصارى في عقيدهم، "إذ كانت آلهة الكلدانيين أصول آلهة الأوربيين وبخاصة الإغريق، فإن المسيحية التي عرفت من أناجيل بولس تشبه في عقيدة التثليث عقيدة الكلدانيين وغيرهم في الكلمة والثالوث وصفات المسيح التي يصفه بها المسيحيون. إلاّ أنهما يختلفان في كون الثالوث البابلي لا يفصح عن وجود الروح القدس."[1] إذن كان البابليون من أقدم الشعوب التي عددت الآلهة.

كما عرفت مصر التثليث في أنحاء مختلفة من أرجائها، وقد تعدد هذا الثالوث بتعدد هذه الجهات. إلاّ أننا نذكر أهم ثالوث وهو أبيدوس الذي يتكون من إزيس وأوزوريس وحورس.[2]

وترجع فكرة نشأة التثليث في الديانة المصرية إلى تلك الأسطورة التي نسجها الخيال المصري القديم، هذه الأسطورة التي أصبح فيها أوزوريس هو منقذ البشرية.[3]

كان لهذه الأسطورة أثرها في الديانة النصرانية حتى إنّ المسيحيين الأولين كانوا أحيانا يصلّون أمام تمثال إزيس التي يصوّرونها وهي تحمل طفلها حورس، وكانوا يرون فيها صورة أخرى للصورة النبيلة- أسطورة المرأة- الخالقة لكل شيء والتي تصبح آخر الأمر أم الإله.[4]

إذن هذه العقيدة المسيحية القائلة بالتثليث ما هي إلاّ العقيدة نفسها التي كان يدين بها قدماء المصريين في ثالوثهم إزيس وأوزوريس وحورس.

وهي الثالوث البرهمي نفسه في الديانة الهندية. فالإنسان الهندي عرف التثليث ودان به، يرى"BRIAULT أن الديانة البرهمية بدأت منذ القرن الثالث قبل المسيح، تمتزج بالوثنية الدرافيدية DRAVIDIENNE فاختلطت ب "براهم" الروح العالي للأشياء، وظهر التريموتي TRIMOURTI التثليث الهندي فأصبح براهم "براهما"

---

[1] المرجع السابق، ص 216.

[2] Georges posner et autre: Dictionnaire de la civilisation egyptienne (paris, Fernoud Hazan,1959)PP :1-2

[3] إبراهيم نمير سيف الدين، زكي علي، أحمد نجيب هاشم: مصر في العصور القديمة ،دط، (القاهرة ،مكتبة مد بولي، دت)، ص 183.

[4] وول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران ،ط3، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1965م)، مج 1، ج2، ص 160.

وأصبح هناك إلهان آخران معه. هما "فيشنو وسيلفا".[1] وفي حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وصل الكهنة إلى القول با"لترمورتي" مختفى يتقرب الناس من التوحيد جمعوا الآلهة في إله واحد وقالوا بأنه هو الذي أخرج العالم من ذاته، وهو الذي يحفظه، ويهلكه، ويرده إليه، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء، فهو براهما من حيث هو موجد، وفشنو من حيث هو حافظ، وسيفا من حيث هو مهلك.[2]

والهنود يعتقدون أنّ بعض آلهتهم حلّت في إنسان اسمه "كرشنا" والتقى فيه الإله بالإنسان، أو حلاّ اللاّهوت في الناسوت في "كرشنا" كما يعبر المسيحيون عن المسيح، ويصفونه بأنه البطل الوديع المليئ ألوهية لأنه قدم نفسه فداء للخليقة عن ذنبها الأول، ويقولون إن عمله لا يقدر عليه سواه، ويعتقدون أنّ الإله "فشنو" وهو الابن وثاني الأقانيم قد حلّ فيه، ومن الغريب أنهم يذكرون حول "كرشنا" من الأساطير والعجائب ما يشبه ما جاء بالأناجيل عن المسيح، والقول الجملي إن الهنود يعتقدون في "كرشنا" ما يعتقده المسيحيون في المسيح.[3]

هذه هي أطراف الثالوث البرهمي والتي يكون قد استخلصها الإنسان الهندي من نظرته إلى الكون فقد رأى أن الكون كلّه ثلاث وجوه رئيسية هي الخلق والاحتفاظ بالمخلوق، ثم الفناء، ومن ثم كانت عنده هذه الآلهة الثلاثة صوّر، براهما الخالق، وفيشنو الحافظ، وسيفا المدمّر.[4] ومما ذهب إليه محمد رشيد رضا بالقول عن وجود التثليث في الديانة البرهمية:" أول رسول أرسل إليهم – إلى اليهود–، وصف لهم الإله بثلاثة صفات، وهي التي تظهر بها حقيقة الألوهية.

الأولى: ما به الخلق والإيجاد، والثانية: الحفظ والإمداد والثالثة: التصرف والتغيير في عالم الكون والفساد. فلمّا طال عليهم الأمر ودبت إليهم الوثنية، جعلوا لكل هذه الأفعال إلها، وجعلوا أسماء الصفات أسماء أقانيم وذوات، ولمّا كانوا ناقلين بالتواتر

---

[1] محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، دط،(بيروت، دار الفكر، 1979م) ج 2، ص 157.

[2] محمد أحمد الحاج: النصرانية من التوحيد إلى التثليث ،ط1،(دمشق،دارالقلم،1413هـ1992م)،ص105

[3] محمد أحمدالحاج ، المرجع نفسه،الصفحة نفسها

[4] ول ديورانت: قصة الحضارة، مج 2، ج 3، ص 204.

كلمة التوحيد، وأن الله إلها واحدا، قالوا إن الثلاثة واحد، وكل واحد منها عين الثلاثة".[1]

المطلب الثاني : الخلاف العقدي حول عقيدة التثليث وتطورها

إن التثليث في العقيدة المسيحية ما هو إلاّ لون من ألوان الشرك و العبادة الوثنية التي وجدت في الديانات الوثنية القديمة ، و قد ظهر في العقيدة المسيحية على يد بولس الذي كان على علم واسع بالأساطير الشرقية القديمة و بالأفكار اليهودية ، و بالفلسفة الإغريقية ...الخ.[2] فقد عثر في خفايا الشريعة اليهودية على حلم يصوّر لليهود فلسفة الحشر والنشر، فحرره ووسع نطاقه...[3] و كان للبيئة الرومانية أثر واضح في نفسه، وفي أفكاره. فمثلا النزعة التأليفية التي تخلط أو تمزج أو تزاوج بين الآلهة ذوي الصفات والوظائف المتشابهة، تلك النزعة قد ظهرت في طرسوس بوضوح منذ زمن بعيد.[4] لذلك حاول التوفيق بين الديانة النصرانية والعقائد الرومانية الوثنية،قال القاضي عبد الجبار : "فاختلع من الديانات المسيح وصار إلى ديانات الروم فإذا تبيّنت الأمر وجدت النصارى ترموا... و لم تجد الروم تنصروا".[5]

كما تأثر بتعاليم المدرسة الإسكندرية[6] وبمبادئها وأفكارها،يقول أحمد شلبي:"...كان عارفا بالفلسفة الإغريقية التي تمثلها مدرسة الإسكندرية ووافقت فكرة التثليث الجماهير"[7] كما استعار من فلسفة اليونان فكرة"اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة، أو ابن الإله أو الروح القدس".[8]

---

[1] محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ط2،(بيروت،دار المعارفة، دت)، ج 6 ، ص 89.

[2] أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 144.

[3] ول ديورانت: المرجع السابق، ج 11، ص 269.

[4] شارل جنيبر: المسيحية ، المرجع السابق، ص 158.

[5] القاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوّة ، ص 158.

[6] المدرسة الإسكندرية: نسبة إلى الأسكندر الأكبر الذي بناها سنة 331 ق م ، تبعد عن القاهرة بحوالي 208 كلم، أسس أول كنيسة بها القديس مرقس و هي مركز بطارقة الكنائس الأرثودوكس و الكاثوليك

فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، ج1، ص 329.

[7] أحمد شلبي: المرجع نفسه، ص 138.

[8] المرجع نفسه، ص 116.

لعلّ ما ساعد بولس على نشر فكرة التثليث وصبغها بألوان الوثنية هو تشبع أتباعه بهذه الثقافات الرائجة في بيئته لتلقى قبولا سهلا لاعتناقهم إياها.

كذلك المجامع المسكونية التي وافقته فيما ذهب إليه في القول بالتثليث.

ولمّا كانت هذه العقيدة لا تمت بصلة إلى تعاليم المسيح –عليه السلام– ولا إلى تعاليم إنجيله، وإنما كانت من تأويلات الأساقفة والقساوسة اختلفوا فيما بينهم في تفسير فروعها وهو ما يسميه النصارى بالأقانيم[1].

وقد كانت الكنائس في الجيل الرابع متوزعة بين جزئيين أحدهما يقر بإلهية المسيح والأخر ينكرها[2] لذلك انعقدت هذه المجامع "تحديد بدء الاتفاق على القول بالتثليث وتحديد بدء إدخاله في الديانة المسيحية كنظام ديني، كذلك تحديد الفاعلين، والقائلين والمتمذهبين بهذا التثليث، وأدلّتهم ومراجعهم الدينية أو التاريخية"[3] هذه الخصومات والمجامع المسكونية الرئيسية التي حاولت فضّ هذا الخلاف وهذا الصراع باعتبارها مصدر أساسي في تقرير ألوهية المسيح، ونبدأ بأول المجامع وأعظمها أثرا في تاريخ العقيدة النصرانية وهو:

1- **مجمع نيقية**[4]: وقدا نعقد هذا المجمع بسبب التعارض والاختلاف العقدي الموجود في الكنيسة في تلك الأزمان، وكان من أبرز وجود الاختلاف ذلك الخلاف بين كنيسة الإسكندرية التي تنادي بألوهية المسيح على مذهب بولس، وبين دعوة الأسقف أريوس[5]

---

[1] الأقانيم أو الأقنوم: كلمة سريانية يطلقها السريان على كل ما يتميز عن سواه، على شرط أن يكون من شخص، و له ظلّ... و لذلك فإنه يراد بالأقنوم التعيين، أنظر الخزرجي: بين الإسلام و المسيحية، ص 75-76 ، و صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، ص 55.

[2] محمد فريد وجدي: المرجع السابق، ج 10، ص: 203 .

[3] رؤوف شلبي: أضواء على المسيحية، دط109 ، (صيدا بيروت، منشورات المكتبة المصرية، 1985م)، ص 109.

[4] نيقية: مدينة قديمة تقع في شمال شرق أسيا الصغرى عقد بها مجمعين الأول سنة 325م و الثاني سنة 787، و هي مدينة الآن في تركيا تسمى" أزنك". الحموي: معجم البلدان، ص385.

[5] ولد سنة 256م من اصل ليبي، كان كاهنا على أحد الكنائس الاسكندرية، أنكر لاهوت المسيح، حرمه مجمع نيقية سنة 235م توفي سنة 336م، صبحي حموي: معجم الإيمان المسيحي، ص 32

و S.E le Cardinal HERGENDETHER , L'histoire de l'église, p :23

في الإسكندرية أيضا.[1]

وقد نص قانون الإيمان الصادر عن المجمع" نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل، خالق كل ما يرى، وكل ما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح.. ."[2] صدرت عن هذا المجمع القرارات التالية:" الكنيسة الرسولية تحرم القول بان الزمن قد خلا من ابن الله، وطرد كل من يخرج عن هذه العقيدة "[3]

2- **مجمع القسطنطينية الأول عام 381م**: تقرر أنّ الروح القدس إله في مواجهة مقدنيوس[4]، أن الروح القدس ليس بإله، ولكنه مصنوع ومخلوق للّه.[5] و في قرارات هذا المجمع :"خروج على ما قرره مجمع نيقية بالزيادة حيث زادوا الإيمان بروح القدس، الرب المحي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب و الإبن مسجود له، و ممجد، و ثبتوا أن الأب و الإبن و روح القدس ثلاثة أقانيم، و ثلاث خواص، توحيد في تثليث و تثليث في توحيد، كيان واحد في ثلاثة أقانيم إله واحد جوهر واحد طبيعة واحدة".[6]

3- **مجمع أفسس[7] عام 431 م**: في هذا المجمع رأى بطريك القسطنطينية نسطور[8]بأن لا يعتقد ألوهية المسيح يقول:" إن هذا الإنسان الذي يقول إنه المسيح الذي ظهر بين الناس لم يكن إله بحال من الأحوال ولكنه مبارك بما وهبه الله من آيات وتقديس".[9]

---

[1] الخزرجي: بين الإسلام و المسيحية ، ص 69، و عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن ، ص 246 و ما بعدها، و بسمة أحمد حسنية: تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ (أسبابه و نتائجه) ، ط1، (دمشق، دار القلم ، 1420هـ - 2000 م)، ص 316 و ما بعدها. و عرفان عبد الحميد فتاح: النصرانية (نشأتها التاريخية و أصول عقائدها)، ط1. (عمان الأردن ، دار عمار، 1420 هـ- 2000م)، ص 84 و ما بعدها.

[2] RENEMET2 histoire des conciles (paris, 1964), P21

[3] رؤوف شلبي: المرجع السابق، ص99.

[4] مقدنيوس: هو أسقف القسطنطينية من 340 إلى 360 ، عزله الإمبراطور قسطنسيوس في 360 لإعتبارات سياسية كنسية، أنكر ألهية الروح القدس ، انظر: صبحي حموي اليسوعي : معجم الإيمان المسيحي، ص 472.

[5] S.E le Cardinal HERGENDETHER , L`histoire de l`église, P 205

[6] رؤوف شلبي: المرجع نفسه، ص101.

[7] أفسس: كلمة يونانية و معناها المرغوبة، وهي عاصمة المقاطعة الرومانية بآسيا الصغرى بنى بها بولس كنيسة سنة 54 م، و عقد بها المجمع الكنسي سنة 431م ، بطرس عبد الملك، جون الكسندر طمس، إبراهيم مطر: قاموس الكتاب المقدس، ط10 ،(دار الثقافة بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط، 1995م)، ص 92.

[8] نسطور: كان بطريك القسطنطينية من سنة 428م إلى 431م، قال بوجود طبيعتين في المسيح، عزل و نفي إلى ليبيا أو مصر، حيث توفي بعد سنة 451م .، صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، ص 118.

[9] Royston pike.e Dictionnaire des réligions, P228

في هذا المجمع تقرر أن المسيح طبيعتين :إحداهما لاهوتية، وأخرى ناسوتية في مواجهة مقالة نسطور.[1]

و في قرارت هذا المجمع جاء: "مريم العذراء أم الله كما يقول في ذلك كتابهم الذي وقعوه، إن مريم القديسة العذراء ولدت إلها يسوع المسيح الذي مع أبيه في الطبيعة، و مع الناسوت في الناسوت و الطبيعة و أقروا بطبيعيتين للمسيح، واحدة لاهوتية و الأخرى ناسوتية بشرية، و لعن نسطور و نفيه إلى مصر".[2]

4- مجمع خليقدونية[3] ام 431م: يعتبر هذا المجمع من المجامع المهمة في تاريخ المسيحية، ذلك لأن موضوعه في صلب العقيدة فهو يتعلق بطبيعة المسيح –عليه السلام – قرر هذا المجمع أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة، إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية يلتقي بهما المسيح مع الله ومع الناس، وذلك في مواجهة مقالة دسكورس بطريك الإسكندرية القائل بالطبيعة الواحدة، وأن اللاّهوت والناسوت اجتمعا في السيد المسيح.[4]

و قد جاء في قرارت هذا المجمع:

"إن في المسيح طبيعتان منفصلتان لا طبيعة واحدة و أن الألوهية طبيعة وحدها، و لناسوت طبيعة وحده، إلتقتا في المسيح و قالوا إن مريم العذراء ولدت إلها ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية و مع الناس في الطبيعة الإنسانية، و شهدوا أن المسيح طبيعتان و أقنوم واحد ولعن مستور و كل من يشايعه في مقالاته".[5]

وقد قال ابن البطريك في بيان قرار هذا المجمع :" قالوا إن مريم العذراء ولدت إلها، ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية"[6]

---

[1] S.E le Cardinal HERGENDETHER , ibid ,P 216

[2] رؤوف شلبي: المرجع السابق، ص101.

[3] خلقدونية : مدينة قديمة في آسيا الصغرى تسمى اليوم كاديوكوري و هي التي أنعقد فيها المجمع المسكوني الرابع سنة 415م ، صبحي حموي اليسوعي: المرجع نفسه ، ص 126

[4] S.E le Cardinal HERGENDETHER ,ibid P 216 ، و توماس ميشال اليسوع: المرجع نفسه، ص91، و محمد أبو زهرة : المرجع السابق ، ص 210-211، وعرفان عبد الحميد فتاح: المرجع السابق ، ص 79، و رؤوف شلبي: المرجع السابق، ص 109.

[5] المرجع نفسه، ص105.

[6] محمد أبو زهرة : المرجع نفسه، ص 212.

وهكذا كانت هذه المجامع الأربعة السابقة هي التي أقرت بها العقيدة النصرانية الحاضرة.

فأولها قرر ألوهية المسيح، وثانيها قرر ألوهية الروح القدس، وثالثها قرر أن المسيح أجتمع فيه الإنسان والإله لا الإنسان فقط وأن مريم ولد الاثنين، ورابعها قرر أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين لا طبيعة واحدة محددة.

والمجامع الثلاثة الأولى اتفقوا على أنها مجامع عامة. أمّا المجمع الرابع فهو ليس مجمعا عاما في نظر المصريين والكنائس التي تنهج نهج كنيستهم.[1]

أصبح التثليث بعد أن أقرته المجامع المسكونية أهم ركن من أركان العقيدة النصرانية." إذ أصبحت فريضة أصولية واجبة الاعتقاد تأخذ بها جميع الكنائس، وكل من ينتسب إلى المسيح – عليه السلام– ومن اعتقد غير ذلك عدّ من الملعونين والمطرودين من كنيسة الله، وهذا كما طرد أريوس وشيعته وأعلن كفرهم بموجب قرار المجمع الأول وما تبعه من مجامع أخرى".[2] وهو ما فتح باب الجدل والخلاف واسعا حول هذه الأقانيم بألفاظها الثلاثة (الأب، والإبن والروح) التي أقرتها هذه المجامع، فما هو سبب هذا الخلاف؟وكيف كان ؟

كانت هذه الأقانيم محلّ اتفاق النصارى –من موحدّين ومثلثين –إلاّ أن تفسيراتهم لها فتحت باب الخلاف بينهم، "فبينما يرى الموّحدون أن هذه الألفاظ تفهم على المعنى المجازي فقط، يذهب أصحاب التثليث وعلى اختلافهم إلى تفسير هذه الكلمات بـ: هل الابن مساو للأب؟ وهل هو ذو طبيعة واحدة، أو ذو طبيعتين إلاهية إنسانية؟ وهل هو إله أو إنسان مفضل على سائر البشر؟ وهل يصدر الروح القدس من الأب وحده أو من الأب والإبن معا؟ وهل المسيح هو الكلمة أو الإبن فقط أو أن الكلمة والإبن مترادفان أو أن الكلمة هي الأب والله"[3] ومنهم من يقول أن :" الأب الذات، والابن النطق الذي هو الكلام النفساني، والروح الحياة، فالأب جوهر، وأختلفوا في الكلام والحياة، هل هما صفتان

[1] بسمة أحمد جستينة: المرجع السابق ، ص 326.

[2] ابن قيم الجوزية: المرجع السابق، ص 232.

[3] العقاد: العقائد و المذاهب – الله – ط 1 ، (بيروت لبنان، دار الكتاب اللبناني، 1978م)، مج 11 ، ص 174.

للأب، أو ذاتان قائمتان بأنفسهما، أو خاصيتان لذلك الجوهر"[1] ومنهم من يقول:" الله الأب، الله الابن، الله الروح القدس. فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح التطهير. "[2]

هذا الخلاف بينهم راجع إلى كون هذه العقيدة لم يقل بها المسيح –عليه السلام– كذلك تتعارض مع عقيدة التوحيد التي قالت بها جميع الأديان السماوية. تبعا لهذا وذاك كان لابد لأصحاب التثليث من فلسفة هذا المعتقد، وبيان العلاقة بين أفراد هذا الثالوث وتحديد مهمة كل واحد منهم، وذلك كي يتبين للعامة أن هذا الثالوث لابد منه لهذا الوجود، وأن الحياة لا تستمر بدونه. إلاّ أن هؤلاء الذين فلسفوا هذا المعتقد، وهو طبيعة الله بأنها وحدية في تثليث وتثليث في وحدية، ولما أرادوا أن يوضحوا العلاقة بين الأقانيم لم يزدها ذلك إلاّ غموضا وتعقيدا. فكيف فكر الجاحظ في هذا الاختلاف والتناقض؟ وكيف ردّ على أصحابها ؟

المبحث الثالث : رد الجاحظ على عقيدة التثليث

كانت دواعي الجدل القائم بين المسلمين والنصارى من جهة وبين النصارى أنفسهم من جهة أخرى حول طبيعة المسيح قوية بسبب تلك الصيغة العقدية التي تصورَ الله بوجوه ثلاثة " الله، والابن والروح القدس" حيث زعم النصارى: أنهم تلقوها عن الإنجيل، وأن المسيح –عليه السلام– قال: " عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس"[3] كما هو ثابت في المصادر المسيحية .

فالتناقض والغموض الذي يلف عقيدة النصارى بسبب التثليث يتولد عنه تلك الأسئلة المحرجة حول طبيعة المسيح : هل المسيح إله ؟ وإن كان إلها فكيف يعلل التعدد في هذا الإله الواحد ؟ وكيف يكون إلها وإنسانا في الوقت نفسه ؟ وكيف يمكن فهم هذا التفاعل القائم بين النفس وخالقها المقيم فيها ؟

---

[1] القرا في: الأجوبة الفاخرة، ص 111 .

[2] محمد رشيد رضا : المرجع السابق، ج 10، ص333 .

[3] متى: 19/28.

هذا التصور الغامض والمتناقض الذي يحار فيه العقل ولا يرتضيه الفكر السليم كان مما دعا الجاحظ إلى الرد على عقيدة التثليث ، سيما وأنه كان عليما بمواطن الضعف والوهن فيها يقول الجاحظ في عرضه لهذه العقيدة :"القاعدة الثانية عندهم وهي الإيمان بالتثليث، فعندهم لا يمكن دخول الجنة إلاّ بالإيمان به فيؤمنون بأنّ الله ثالث ثلاثة وأن عيسى ولد الله وأن له طبيعتين ناسوتية، و لاهوتية، وتلك الطبيعتان صارتا شيئا واحدا، فصار اللاّهوت إنسانا محدثا تاما مخلقا، وصار النّاسوت إلها تامّا خالقا غير مخلوق. وبعضهم يقول الثلاثة هم الله، وعيسى، ومريم".[1]

واضح أن هذه الاختلافات التي ستكون محل ردّ من قبل الجاحظ إنّما هي امتداد لتلك الخصومات الحادة التي شغلت النصارى فترة طويلة، وما حرص الجاحظ على تتبعها، إلاّ من باب البحث عن أدّلة إضافية للحقيقة التي يؤمن بها، وهي أن النصارى يجهلون أمر المسيح، ولولا هذا الجهل لما اختلفوا فيه وقد أعتمد في ذلك على القرآن الكريم والسنة المطهّرة للرد على أصحاب هذا الثالوث. إذ يقول[2] : " وذكرتم أنهم قالوا : إن الدليل على أن كتابنا باطل، وأمرنا فاسد، أننا ندّعي عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم، ولا يعرفونه من أسلافهم، لأنا نزعم أن الله جلّ وعزّ قال في كتابه على لسان نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[3] وأنهم زعموا أنا أدّعينا عليهم ما لا يعرفون، كما أدّعينا على اليهود ما لا يعرفون حين نطق كتابنا، وشهد نبينا أن اليهود قالوا: إن عزير ابن الله[4]، وأن يد الله مغلولة[5] وأنّ الله فقير وهم أغنياء.[6] وهذا ما لا يتكلم به إنسان، ولا يعرف في شيء من الأديان ".

---

[1] الجاحظ : قسم الأنوار في الرد على النصارى و الكفار(مخطوط بدار الكتب المصرية) ، نقلا عن: محمد بو الروايح: منهج القرآن في نقد الأديان، (رسالة ماجيستر في العقيدة و مقارنة الأديان،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 1415هـ -1994 م)، ص 187.

[2] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 84.

[3] المائدة : 116.

[4] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾، التوبة : 30.

[5] ﴿وقالت اليهود يد الله مَغْلُولَةٌ﴾، المائدة : 64.

[6] ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير و نحن أغنياء﴾، آل عمران : 181.

وقد نعى القرآن الكريم في أكثر من آية على المسيحيين تحريفهم لكتاب الله في أسفارهم المزعومة[1]، وتغييرهم لطبيعة المسيح، وزعمهم أنّه ابن الله، واستبدالهم عقيدة التوحيد التي أمروا بها بعقيدة الشرك. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ...**﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ**﴾.[3]

والرسول صلى الله عليه وسلم قد نبه إلى حرمة الغلّو في الدين " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أن عبد الله ورسوله".[4]

وقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقيدة التثليث بقوله: "من شهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله **وأن عيسى عبد الله** ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل".[5]

من خلال هذا العرض يمكن القول أنّ القرآن الكريم انتقد كل معتقد من شأنه أن يعدد الإله أو الآلهة وهو ما ذهب إليه الجاحظ بعد عرض هذه الأقوال في عقيدة التثليث، وقد تركّز نقده على ثلاثة عناصر:

---

[1] علي عبد الواحد وافي: المرجع السابق ، ص 88.

[2] المائدة :73.

[3] النساء : 171.

[4] أخرجه البخاري من طريق إبن عباس : كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب مريم...﴾. مريم :16

و محمد بن حجر العسقلاني الشافعي (ت 825هـ): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق و تصحيح، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دط ،(بيروت ، دار المعرفة، د ت)، ج6، ص 476،

و أحمد بن حنبل (ت241)، عن عمر : كتاب العشرة المبشرين بالجنة، المسند، دط ،(دار الفكر، دت)، ج1، ص 23-24.

[5] أخرجه البخاري: في الأنبياء، باب ﴿ يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ أنظر: الفتح، ج6، ص 474، و أبو مسلم بن أبي الحجاج القشري (261هـ) : كتاب الإيمان، باب الدليل على من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، صحيح مسلم، تحقيق و تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، ط2 ،(بيروت ، دار إحياء التراث العربي، د ت)، ج1 ، ص58 .

أ- نقد الجاحظ لمفهوم الألوهية:

أخذ الجاحظ على عاتقه مهمة الدفاع عن العقيدة الإسلامية على أساس من النقل والعقل، وهو المنهج الذي وقف به في وجه النصارى يوجه إلى آرائهم كل ما يملك من سهام الأدلّة النقدية بطريقة عقلية واضحة تدل على تفهمه العميق ومعرفته الجيّدة بمواطن الضعف في عقيدتهم، وبخاصة في قضية الألوهية التي بحث فيها أسباب ودواعي تأليه النصارى لعيسى عليه السلام وقد حصرها في نقاط ثلاث: كونه ولد من غير أب، وإتيانه بالمعجزات (الآيات العجيبة)، وكلامه في المهد. هذه الآراء كانت موضع تعجب واستنكار من قبل الجاحظ، لذلك وضعها على ميزان العقل ليجلو عنها كلّ ما تحمله من لبس وغموض ودليله في ذلك القرآن الكريم. لأن هذه القضية - قضية الألوهية- الدليل الوحيد الهادي فيها هو دليل الوحي " قد جاء القرآن الكريم يصحح صورة الألوهية في عقول الناس، وكان في الوقت نفسه منهج التفكير العقلي بجملته، ويعلم الإنسان كيف يفكر تفكيرا صحيحا، فيعتمد على عقله فيما هو من شؤون العقل، ويستصحب دليل الوحي فيما وراء ذلك ليهتدي العقل بهذا الدليل العقلي، ولا يعتمد على الظّن في قضية كبرى كهذه القضية"[1] قال تعالى:﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَـذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي**﴾.[2] ولّما كان تصوّر النصارى هذه الحقيقة تصورا مبنيا على الظّن، ولأن الحقيقة الإلهية أكبر من هذا العقل الذي يتصوّرها، تناقضت أدلّتهم وغلبت عليها الحيرة والاضطراب في مثل قولهم بألوهية عيسى -عليه السلام- كونه ولد من غير أب. يذهب الجاحظ إلى الرد على هذا القول من النصارى في اتخاذهم المسيح -عليه السلام- إلها لعجيب مولده ونشأته. إذ إن مولده وكونه ليس بأعجب من كون آدم الذي لا أم له ولا أب، كذلك حواء، وليس أيضا مولد المسيح بأعجب من الملائكة فيقول: "إن كان المسيح إنما صار ابن الله لأن الله خلقه من غير ذكر، فآدم وحواء كانا من غير ذكر وأنثى وأحق بذلك إن كانت العلّة في اتخاذه خلقه من غير ذكر"[3] ففكرة اتخاذ النصارى

---

[1] سيد قطب: مقومات التصور الإسلامي، ط4 ، (القاهرة، دار الشرق، 1414هـ - 1991 م)، ص291.

[2] الأنبياء : 24.

[3] الجاحظ: الحجاج في الرد على النصارى، ص 116.

المسيح إلها مردّها كونه ولدا أنه خلق من غير ذكر يبطلها الجاحظ بأدّلة عقلية منطقية واضحة كون هناك ما هو أكثر من هذا، فلو جاز هذا لجاز اتخاذ آدم -عليه السلام- إلها يقول:" والأعجوبة في آدم-عليه السلام- أبدع في وتربيته أكرم ومنقلبه أعلى وأشرف إذ كانت السماء داره والجنة منزله والملائكة خدامه، بل هو المقدم بالسجود، والسجود أشد الخضوع".[1]

وقد اعتمد الجاحظ المنهج المقارن الذي هو من أخص خصائصه في نقده عقائد النصارى بقصد تبيين ما فيها من حق وباطل، أو من خطأ وصواب، أو ليستوضح ما هو غامض، ومرجعه في ذلك القرآن الكريم، فهو يعلم أن آيات الكتاب المبين لا تخلو من أدلة عقلية يجب الرجوع إليها والتمسك بها. و القرآن الكريم هو أول من شبّه خلق عيسى بآدم- عليه السلام-﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[2]

وأنكر أيضا الاعتقاد في ألوهية عيسى -عليه السلام- لإتيانه المعجزات، فقد أولى اهتماما كبيرا بهذه القضية وهو ما نراه مبثوثا في مؤلفاته. فعنده إذا كانت تلك الآيات التي جرت على يديه علامة على ما تمتع به من سلطان حسب رأي النصارى، فإنها ليست إلاّ فعلا أظهره الله على يديه. يقول:" إنك لو سألت النصارى مجتمعين ومتفرقين لخبروك عن أسلافهم أن عيسى قال: إني إله، قلنا قد علمنا أنّ نصارى عصرنا لم يكذبوا على القرن الذي من قبلهم، والذين كانوا يولونهم، ولكن الدليل على أن أصل خبرهم ليس كفرعه، أن عيسى- عليه السلام- لو قال: إني إله، لما أعطاه الله إحياء الموتى، والمشي على الماء، على أن في عيسى- عليه السلام - دلالة في نفسه أنه ليس بإله، وأنه عبد مدّبر مقهور".[3] فلو كان عيسى إلها لما أحتاج إلى من يعطيه هذه المعجزات، وهو دليل على أنه بشر، وعبد لله قال تعالى:﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا

[1] المصدر السابق ، ص 117

[2] آل عمران: 59.

[3] الجاحظ: حجج النبوّة، ص 215.

دُمْتُ حَيّاً وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾.[1] وقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾.[2] وهذا تأكيد على أن عيسى لم يدع قط بأنه إله، ولو ادّعى ذلك لناقض نفسه. وأمّا كون تكلّمه في المهد دلالة على ألوهيته، فقد أورد الجاحظ فقرة طويلة جمع فيها الاعتراضات المسيحية، إلاّ أنه مرّ بجانب القضية دون أن يرد عليها حجة بحجة، ورد على احتجاج النصارى بجهل اليهود والمجوس، والهند، والخزر، والترك لكلام عيسى في المهد، في كثير من التفصيل حتى يتم إسقاط نكيرهم، وتشنيعهم وتزوير شهودهم وربما هذا يعود إلى عدم وصول ردّ الجاحظ إلينا كاملا.[3]

و يقول في موضع آخر: " لولا أن الله سبحانه خبر عن يحي بن زكريا أنه آتاه الحكم وأنطق عيسى في المهد رضيعا ما كان في الحكم ولا في المغيب إلاّ كسائر الرسل وما عليه طبع البشر "[4] فمشاركة عيسى –عليه السلام– في تلك المعجزة تحدّ من غرابتها، وقوله: " وخبرني عن كلام عيسى في بطن أمّه، ثم في المهد، وعن عقل يحي في حال الصبا، أكان في حالهما ينطقان بما لا يعلمان؟ وكيف علما؟ أبتجربة واستنباط وعن تمام أداة وكمال آلة، أم من طريق الإلهام والإخراج من العادة "[5]

و تحقيق هذه المعجزات برأي الجاحظ لا يفيد ألوهيته من جهة، ومن جهة أخرى عملها إنما كان ملازما لنبّوته تأييدا له – عليه السلام– وأن هذه المعجزات لم تكن خاصة بعيسى –عليه السلام– وحده، بل أجرى الله سبحانه وتعالى معجزات على يد أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تصديقا لدعوتهم. ثم إن القرآن الكريم ينص على أن عيسى– عليه السلام– إنما يقوم بها بإذن الله.

---

[1] مريم: 29-30-31-32-33.

[2] المائدة: 75.

[3] عبد المجيد الشرقي ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص 272.

[4] الجاحظ: العثمانية، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط1، (بيروت ، دار الجيل، 1411 هـ -1991م)، ص 9.

[5] المرجع السابق، ص274 .

وهكذا أكّد الجاحظ استحالة الأبوة الإلهية لعيسى– عليه السلام– وكذلك دعوى النصارى بنوّة عيسى لله تعالى فكيف رد الجاحظ هذه الدعوى؟

ب– نقد الجاحظ دعوى النصارى بنوّة عيسى لله:

النصارى كاليهود كفروا بالله ورسوله ونسبوا إليه الولد كما ذكر القرآن الكريم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾.[1]

عرض الجاحظ هذه القضية– بنوّة عيسى لله– والتي هي المحور الأساسي الذي بني عليه القول بالتثليث قبل أن يناقشها مبديا استنكاره الشديد، وفي الوقت نفسه رافضا قول النصارى بها لشناعة ما فيها من أمور عجيبة غريبة تخالف المنطق والمعقول فيقول:" ولولا أن الله قد حكى عن النصارى أنهم قالوا المسيح ابن الله وقال:﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾.[2]، لكنت لأن أخر من السماء أحب إلي أن ألفظ بحرف مما يقولون".[3]

هذا القول يعكس لنا حرارة إيمان الجاحظ، وصدقه فيما يقوله عن النصارى ويخبر به، وهو غير متقول عليهم ولا مدّع يقول:" ولكني لا أصل إلى إظهار جميع مخازيهم وما يسرون من فضائحهم إلاّ بالإخبار عنهم والحكاية منهم"[4]، وتلك طريقته المعهودة في تناوله لمسائل النصارى قبل أن يناقشها، ويرد عليها، فهي بمثابة مدخل تمهيدي يؤسس عليه نظرته حول الموضوع الذي يعرضه علينا مثل قول النصارى في عيسى:

- إنه ابن الله، لأنه خصّه بأن خلقه من غير ذكر.
- وصف عيسى –عليه السلام– بأنه ابن الله، من حيث وصف إبراهيم خليل الله.
- ووصفه بأنه ابن الله على جهة المجاز.

---

[1] التوبة: 30.

[2] المائدة: 73.

[3] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 105–106.

[4] الجاحظ: المصدر نفسه، ص106.

وقد تناول هذه الأقوال بالرد فيقول:" إن كان المسيح إنما صار ابن الله لأنه خلقه من غير ذكر فآدم وحواء إذا كان من غير ذكر وأنثى أحق بذلك، إذ كانت العلّة في إتخاذه ولدا أنّه خلقه من غير ذكر".[1]

أجاب على ذلك من قوله تعالى الذي نفى كلّ تولد عن الله ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾.[2] ثم واجه خصمه بسلاحه لتكون الحجّة أقوى وابلغ مستخدما في ذلك ملكته العقلية في إثبات تقريرات القرآن الكريم والسنّة النبوية. ولإثبات تناقض النصارى مع ما جاء في كتبهم، أن المسيح قال:" أنا أذهب إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم"[3]، وأن المسيح أمر الحواريين أن يقولوا في صلواتهم:" يا أبانا الذي في السماء تقدس اسمك".[4]

يقول الجاحظ: "فإن قيل: فهل جاز أن يقال في عيسى إنه ابن الله، لأنه خصّه بأن خلقه من غير ذكر؟ قيل هذا يوجب مثله في آدم، لأنه خلقه من غير ذكر ولا أنثى فإن قالوا: قد خصّ عيسى في التربية بما لم يخص به غيره، فلذلك جاز أن يقال إنه ابنه، فهذا قائم في جميع الأنبياء عليهم السلام، أنهم أجمع رباهم الله بمعنى أنه رزقهم وغذاهم وأطعمهم، لأن معنى تولى الحضانة والإطعام والسقي لا يصح على الله تعالى في أحد و لم يخرج عيسى من أن تكون أمّه ربته كتربية سائر الأنبياء، وكان الأحق بذلك آدم، لو صح بذلك على آدم الله سبحانه، لأنه خصه بأن خلقه في سمائه وأغناه عن تربية أمّه وأسكنه جنته، فكل هذه الأمور في آدم أبدع، فلو صح أن يقال في عيسى إنه ابنه، لكان بذلك آدم أولى. وكل ذلك يبطل ما تعلقوا به".[5]

---

[1] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 116.

[2] البقرة: 116-117.

[3] يوحنا: 17/20.

[4] لوقا: 2/11، متى: 9/6.

[5] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص16.

ويرفض الجاحظ (الأبوة والبنوّة)، على التبني، والتربية، والإبانة له بلطف المنزلة، والاختصاص له بالمرحمة والمحبة، يقول: " فإنا لا نجيز أن يكون لله ولد لا من جهة الولادة ولا من جهة التبني، ونرى أن تجويز ذلك جهل عظيم وإثم كبير"[1]، إذ لوجاز أن يتخذ الله عزّوجل عيسى -عليه السلام- ولدا على جهة الرحمة، من حيث لم يكن له من يربيه، "فذلك يوجب في آدم أن يكون ابنا له، ويوجب في الملائكة التي لا أب لها أنها أولاد الله، وإن قيل فيمن رق على غيره قلبه وتبناه أنه أب له، لأنه قد أجراه مجرى ابنه وهذا المعنى يستحيل في الله".[2]

أمّا وصف عيسى بأنه ابن الله من حيث وصف إبراهيم بأنه خليل له، فذلك عند الجاحظ يستحيل، ويجب أن لا يصح حيث قال: " وسألتم عن قولهم: إذ كان تعالى أتخذ عبدا من عباده خليلا، فهل يجوز أن يتخذ عبدا من عباده ولدا، يريد بذلك إظهار رحمته له، ومحبته إياه، وحسن تربيته وتأديبه له ولطف منزلته منه، كما سمي عبدا من عباده خليلا، وهو يريد تشريفه وتعظيمه، والدلالة على خاص حاله عنده؟".[3]

أجاب الجاحظ: " إن إبراهيم لم يكن خليلا لخلة بينه وبين الله تعالى، لأن الخلّة* والإخاء والصداقة منفى عن الله، وإنما كان خليلا بالخلّة التي أدخلها على نفسه وماله لأنه اختل في الله اختلالا لم يختله أحد قبله بقذفهم إياه في النار، وذبحه ابنه، وحمله على ماله بالمواساة، وبما فعله قومه، والبراءة من أبويه في الحياة والممات وترك وطنه، والهجرة إلى غير داره ومسقط رأسه، فصار بهذه الشدائد مختلا في الله وخليلا فأضافه الله إلى نفسه وسمّاه خليله من بين الأنبياء، كما تسمى الكعبة بيت الله من بين جميع البيوت، وأهل مكة "أهل الله" من جميع البلدان، وسمى ناقة صالح -عليه السلام " ناقة الله" من بين جميع النوق، وهكذا كلّ شيء عظمه الله تعالى من خير وشر وثواب وعقاب، كما قالوا: دعه في لعنة الله وفي حرقه، وكما قال القرآن" كتاب الله"، وللمحرم "شهر الله"، وكما قيل لحمزة

---

[1] المصدر السابق، ص 103.

[2] القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب العدل و التوحيد، تحقيق محمود محمد الخضري، مراجعة إبراهيم مدكور، إشراف طه حسين،(الدار المصرية للتأليف و الترجمة). ص 103

[3] المصدر السابق، ص 100.

"أسد الله" ولخالد "سيف الله".[1] وبهذا أراد الجاحظ أن لا يدع مجالا لمقارنة الخليل بالابن، وينفي وجود أيّ علاقة أنطولوجية بين الله وعيسى –عليه السلام– بالأدلّة الواضحة لكشف الظاهر، وإظهار البارز يقول:" لأن المعلوم من حال منا أنه لو رحم جرو كلب فربـــاه، لم يجز أن يسميه ولدا، ولا ينسب له أبا، ولو التقط صبيّا فربما لجاز أن يسميه ولدا، لأنـــه شبيه ابنه، وقد يولد لمثله مثله، وليس بين الكلاب، والبشر أرحام. فـــإذا كـــان شـــبه الإنسان الله أبعد من الله تعالى من شبه الجرو بالإنسان، كان الله أحق بأن يجعلـــه ولـــده، وينسبه إلى نفسه".[2] وهي ميزة الجاحظ وقدرته الفائقة في استخدام أساليبه الخاصة في كل موقف أو قضية يثيرها مع النصارى لقطع الطريق أمامهم بما لا يدع مجال للشـــك والظـــن والمراوغة.

وأمّا وصف عيسى –عليه السلام– ابن الله على جهة المجاز فيقول الجاحظ:" فإنا لا نجيز أن يكون لله ولدا لا من جهة الولادة ولا من جهة التبني، ونرى أن تجويز ذلك جهـــل عظيم وإثم كبير".[3] لأن البنوّة في الحقيقة لا تصح إلاّ في من ولد منه على الوجه المعقـــول، وعلى جهة المجاز لا تستعمل إلاّ فيمن يجري مجرى ابنه بان يكون من الآدميين. وأن الطريق المجاز لا يصح في القديم تعالى، لو جاز أن يقاس المجاز في الاستعمال لم يكن صـــحيحا في هذا الموضع، لأن فائدته لا تصح في الله تعالى. كما أنه لا يصح أن يقول واحد لشيء من البهائم إنه إبني، ولا للجمادات، ومخالفة القديم تعالى للأجسام أشد من مخالفـــة أي أحـــد لبهائم أو الجماد، لأن تلك مخالفة في الذات، وهذه مخالفة في الصفات.[4]

وقد خالف الجاحظ النظام حيث يرفض البنوّة حقيقة ومجازا" وذلك أنه –النظـــام– كان يجعل الخليل مثل الحبيب، ومثل الولي، وكان يقول خليل الرحمان مثل حبيبه ووليـــه وناصره".[5] وأيضا تمييز – من بين أقرانه من المعتزلة– في تفسيره لمعـــنى الخليـــل بالخلّـــة أو الحاجة مؤكدا بها أنه لا مجال لمقارنة الخليل بالابن.

---

[1] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 112 و ما بعدها و القاضي عبد الجبار:المغني،ج5، ص 108-109

[2] المصدرالسابق، ص 111.

[3] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 103

[4] القاضي عبد الجبار: المغني، ج5، ص 109.

[5] المصدر السابق، ص 110.

إذا كان الجاحظ قد اعتمد على ملكاته العقلية في الرد على النصارى انطلاقا من آيات الكتاب المبين فإنه لم يغفل كتبهم التي بأيديهم، حيث جعل منها سلاحا واجه به خصومه من النصارى ليبين صحة ما يقول، ويبطل ما تعلقوا به من نصوص تلك الأناجيل القائلة أن عيسى تسمى ابنا لله تعالى، وتسمى تعالى أبا، " وإني ذاهب إلى أبي".[1] وأن المسيح أمر الحواريين أن يقولوا:" يا أبانا الذي في السماء تقدس اسمك".[2]

نلاحظ أنه يسلم بهذا القول ليرد عليهم من واقع حقيقة الإنسان ووجوده الطبيعي، وعلاقاته التي تربطه بتكوينه الأسري بأدلّة تقرها العقول، ولا يختلف منهم فيها اثنان يقول:" والقول بأن الله يكون أبا وحدا وأخا وعما للنصارى ألزم وإن كان للآخرين لازما، لأن النصارى تزعم أن الله هو المسيح ابن مرم، وأن المسيح قال للحواريين، لا "إخوتي" فلو كان الحواريون أولادا لجاز أن يكون الله عمهم".[3] فالله تعالى أعظم من أن يكون له أبوّة من صفاته، والإنسان أحقر من أن تكون بنوّة الله تعالى من أنسابه.

وما يمكن قوله أن الجاحظ في نقضه دعوى بنّوة عيسى لله تميز منهجه بخاصيتين كبيرتين هما:

- العقل : وقد كان في اعتماده القول بالقياس.

- و اللغة التي كانت سلاحا مهّما من أسلحة الجدل في منازلته لأصحاب الفرق والمذاهب الأخرى.

كما أبدى معرفة كبرى بفنيات الجدل في تناوله لقضاياه، يقول:"من تناول الفرع قبل إحكام الأصل سقط، والأصل أحق بالقوة من الفرع".[4]

ثم يكشف الجاحظ عن جملة من الأسباب دعته إلى الرد عليهم، فيقول:" ولولا كثرة ضعفائنا مع كثرة البخلاء فينا الذين نطقوا بألسنتنا، واستعانوا بعقولنا على أغبيائنا وأغمارنا لما تكلفنا كشف الظاهر، وإظهار البارز، والاحتجاج للواضح"[5] بكثير من

---

[1] يوحنا: 17/20

[2] لوقا: 2/11.

[3] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 105

[4] الجاحظ: حجج النبوّة، ص 227.

[5] المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

الصرامة مع كل ما يتنافى والعقيدة الإسلامية، أو احتراز شديد على الأقل في كل ما ليس موجودا في اللغة العربية، بحيث يتعين تأويله كمن كان من المتكلمين يجوّز أهل الكتاب عمى التوراة والإنجيل والزبور، وكتب الأنبياء في النصوص التي تنسب الأبوّة لله. فكان حكمه القاطع أنها، " أمور عجيبة ومذاهب شنيعة تدل على سوء عبارة اليهود، وسوء تأويل أصحاب الكتب، وجهلهم بمجازات الكلام وتصاريف اللغات، ونقل لغة إلى لغة، وما يجوز على الله وما لا يجوز، وسبب هذا التأويل كلّه الغي والتقليد واعتقاد التشبيه".[1]

هذا ما يرفضه الجاحظ كمنهج يتخذه في فهم أمور عقيدته اتباعا للحق، وإبتعادا عن الهوى، وسوء الظن في حقيقة الله، والتأويل الفاسد الذي يخرج المعنى والكلام عن حقيقته. يؤكد ذلك قوله:" ولو أننا جوّزنا في لغتنا ما لا يجوز وقلنا على الله ما لا نعرف كنّا بذلك عند الله والسامعين في حدّ المكابرين، وأسوأ حالا من المنقطعين"[2]، وهو ما نتبيّنه من خلال رده على قول النصارى.

جـ – نقد الجاحظ قول النصارى أنّ عيسى روح الله وكلمته:

اعترض الجاحظ على وصف النصارى عيسى – عليه السلام- بالألوهية، بطريقة منهجية وهي جديرة بأن نبرزها يقول:" كنا إذا قلنا " عيسى روح الله وكلمته" وجب علينا – في لغتنا- أن يجعله الله ولدا ونجعله – مع الله تعالى- إلها، ونقول إن روحا كانت في الله، فانفصلت منه إلى بدن عيسى وبطن مريم، لكن إذا قلنا إن الله سمى جبريل روح الله وروح القدس، وجب علينا أن نقول فيه ما يقولون في عيسى، وقد علمتم أن ذلك ليس من ديننا، ولا يجوز ذلك بوجه من الوجوه عندنا فكيف نظهر للناس قولا لا نقوله وديننا لا نرتضيه... ؟ ولو كان قوله جلّ:﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا[3]﴾ يوجب نفخا كنفخ الزق أو كنفخ الصائغ في المنفاخ، وأن بعض الروح التي كانت فيه انفصلت إلى بطنه وبطن أمه لكان قوله لآدم يوجب له ذلك".[4]

---

[1] المصدر السابق ، ص 102.

[2] المصدر نفسه، ص 123.

[3] التحريم: 12.

[4] الجاحظ: المصدر نفسه، ص: 123.

نلاحظ أنه دلّل على معنى مغاير تماما لما يفهمه النصارى في القول:"روح القدس"، فهي لا تنطوي بحال ما على الألوهية، ولا تتضمن وجود أي تصور يفضي إلى القول بذلك، بأدلة بسيطة تدركها العقول دون تعقيد أو التواء. تلك هي نزعته العقلية والأخلاقية التي تتعلق بمنهجه ومذهبه، والتي تعبّر عن ملامح الفكر الاعتزالي.[1]

يسهب الجاحظ في الحديث عن هذه المسألة من خلال أسئلة وجهها لهم، لا تبقي على أيّ دليل بأن عيسى – عليه السلام- يختلف عن جميع البشر، و قد قال: " إنما سمّيّ عيسى روحا على حسب ما سميّ جبريل روح الله وروح القدس وعلى حسب ما سمىّ جلّ وعز القرآن بذلك فقال:﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا**﴾[2] وقال ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾[3]، ولم يوجب ذلك القول بأن جبريل أو القرآن أبناء الله- فكذلك لا يجب مثله في المسيح. فأمّا قوله: ﴿**فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا**﴾[4] فليس المراد الحقيقة، لأن ذلك يستحيل في الله، جلّ وعزّ، وهكذا قوله في قصة آدم :﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[5] ولم يوجب ذلك أن يكون روحا لله في الحقيقة أو ابن له. فكذلك القول في عيسى.[6]

إلاّ أنه لا يفرق بين الروح مقصودا بها عيسى وجبريل و بين الروح المنفوخة في آدم، فيقول[7]:" والروح يكون من وجوه: فمنها ما أضافه على نفسه، ومنها ما لم يضفه إلى نفسه، وإنما يكون ذلك على قدر ما عظم من الأمور، فما سمىّ روحا وأضافه إلى نفسه جبريل الروح الأمين، وعيسى بن مريم... . وأمّا القرآن فإن الله سماه روحا، وجعله يقيم للناس مصالحهم في دنياهم وأبدانهم، فلما اشتبها من هذا الوجه ألزماها أسمها فقال لنبيّه

---

[1] أنظر: أحمد محمود صبحي، بين الإسلام و المسيحية (في علم الكلام، دراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين،المعتزلة)، ط5،(بيروت، دار النهضة العربية، 1405هـ، 1985 م)، ص 35-352

[2] الشورى: 52.

[3] القدر: 4.

[4] التحريم : 12.

[5] الحجر : 29.

[6] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 122-123 و القاضي عبد الجبار: المغني، ج5 ، ص 113 .

[7] الجاحظ المصدر نفسه، ص 124.

صلى الله عليه وسلم:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾[1] وقال:﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَ﴾[2] على أن الجاحظ لم ير حاجة إلى بيان المقصود ب " الكلمة" في القرآن وفي المنظور الإسلامي، بينما هي مفهوم مركزي في المسيحية منذ ورودها في مفتتح إنجيل يوحنا " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله ".[3]

هذه الحجج التي قدمها أعتبرها ملزمة لجميع النصارى على اختلاف فرقهم، ولهذا لا نجد في هذا المستوى تخصيصا لما يعتقده النساطرة أو اليعاقبة، أو غيرهم في المسيح. من كل ما سبق ذكره نخلص إلى القول:

أنّ عقيدة التثليث عند النصارى من أكثر عقائد الأديان تعقيدا وغموضا وصعوبة تحصيل، إذ ليس من اليسير فهمها واستيعاب جزئياتها وتفصيلها، وتأريخها، ووصفها بدقة، وهذا كلّه ما قرره الجاحظ، وما أجلاه في عبارات منهجية دقيقة جدا. في فهم طبيعة المسيح، لمعرفة حد النصرانية، وخاصة قولهم في الألوهية.

وهكذا نرى سلسلة من الاختلافات والتناقضات حول مفهوم الألوهية بين أقوالهم- النصارى- وبين ما جاء في كتبهم، فهم يثبتون القول بالتثليث –الله-الابن-الروح القدس- وكتبهم تثبت بأن عيسى –عليه السلام- ليس بإله وإنما بشر آدمي مخلوق، ونبي مرسل[4]، ومنه لا يمكن الجمع بين أقوالهم. فالإيمان بالتثليث والتوحيد في آن واحد إيمان بغير المعقول باعتراف النصارى أنفسهم فيقول القس توفيق جيد:" إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه، وأن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلّها في كفه"[5]، وكذلك يقول ياسين منصور: " إنّ من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا".[6]

---

[1] الشورى : 52.

[2] القدر : 4.

[3] يوحنا :1/1.

[4] الترجمان: تحفة الأريب، ص 105 و ما بعدها

[5] القاضي أبو صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي: تحجيل من حرف التوراة و الانجيل، دراسة و تحقيق. محمود عبد الرحمان قدح، ط 1 ، (المدينة المنورة، مكتبة العبيكان ، 1419هـ- 1998م)،ج1، ص 493.

[6] المرجع نفسه، ص 493.

وهذه شهادات كافية لبطلان هذه العقيدة – وغيرها كثير- التي يلفها الغموض وتعذر الفهم المستوعب ، فأصحابها يؤمنون بها لأنها دين غير معقول ، ولا يمكن أن تعرف عقليا ، ولا تُفهم ، ولا يمكن أن تُفهم ، لأنها من قبيل الخرافة ، جعلوا فيها ربهم يحيا بينهم ويتصف بصفات البشر ، فما أكثر ضلالات النصارى وما أعجب دينهم !

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: منهج الجاحظ في الرد على عقيدة التجسيد

تمهيد:

عقيدة التجسد هي مركز الدائرة في العقيدة المسيحية[1]، و هي الأساس الذي تدور حوله العقائد النصرانية و الإيمان المسيحي حيث" يؤمن المسيحيون بأنّ رسالة الله الأزلية و غير المخلوقة صارت بشرا و سكنت في شخص الإنسان يسوع، أي أن رسالة الله أو كلمة الله أوحيت إلى يسوع الإنسان و عليه فإن المسيح لا ينقل كتابا موحى بل يجسد وحي الله"[2]

و تقوم هذه العقيدة عندهم على فلسفة ذات جذور عميقة ضاربة في أعماق التفكير الإنساني استمدها العقل المسيحي من وثنية الديانات القديمة التي لعبت فيها الأسطورة دورا كبيرا في واقع و حياة و معتقد الإنسان. فعقيدة التجسد هذه الأسطورة التي أوجبت فيها المشيئة أن يُتخذ جسدا يتحد فيه اللاّهوت و الناسوت، أي جسدا يكون إلهيا و بشريا في الوقت نفسه، و في بطن مريم العذراء، قد كانت في البداية " واحدة من أساليب متعددة فكّر و تكلّم بها المسيحيون عن يسوع، إلاّ أنها الواحدة التي أسست نفسها كنموذج لكل الأفكار عن يسوع في الإيمان اللاّحق للكنسية"[3].

وقد أعتقد أصلان لهذه الأسطورة المسيحية فكان أصل الرواية الأولى نسبة إلى الأسطورة الجليلية (نسبة للجليل) في فلسفة الحشر و النشر التي نشرها يسوع و المسيحيون الأوائل، على أن أصل الرواية الثانية تعود إلى الأسطورة السامرية في فلسفة طائفة العارفين[4].

إذن كان مفهوم النصارى لطبيعة المسيح تتراوح بين الحقيقة التاريخية والخيال الأسطورى،ففى الاولى يُنظراليه على انه بشر،وفى الثانية يُنظر اليه انه الـه فى اعتقادهم. النظرة الاولى مثلها أصحاب أريوس القائلين بالتوحيد المجرد الصحيح وان عيسى عبد الله

---

[1] عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، ط 1 ، (دار الكتب الحديثة ، 1385هـ-1965م) ، ص 134.

[2] توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 55.

[3] دون كوبيت، ميكائيل غولدر، جون هك: أسطورة تجسد الإله في المسيح. ص 31.

[4] نظر: المرجع نفسه، ص 114.

و رسوله كأحد الأنبياء –عليهم السلام– خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر ، وانه إنسان لا إلهية فيه البتة.

و أما القائلون أن عيسى اله تام كله و إنسان تام ليس احدهما غير الاخـــر... و أن مريم ولدت الإله و الإنسان و أنهما معا شيء واحد و هم النسطورية و اليعقوبية. "[1]

و لمّا لم تكن الأهمية الرئيسية ليسوع عند المسيحيين هي في نموذج حياته البشرية، و إنما من خلاله يجتمعون بالله و به أخذ الله قرارا قاطعا بإنقاذ العالم، ضلّت هذه القضية تدور في مجالات شتى و مختلفة تنتقل من طور إلى طور "من الكلمة المجسدة في عقل الله أو فكـــره إلى الكلمة المتجسدة في ابن الله إلى الكلمة المتجسدة في الله، و المسيح في هذه الأطوار هـــو الكلمة المتجسدة لفكر الله، ثم الكلمة المتجسدة في ابن الله، ثم الكلمة المتجسدة الله"[2].

و هذه المقولات الثلاثة بهذا الترتيب، "عقل الله، ابن الله، الله"، لم تولـــد في وقـــت واحد، بل في أزمان متعاقبة، ولو أنها ولدت في وقت واحد كما يذكر الخطيب[3] لما أمسك العقل المسيحي بغير واحد منها، و لما ارتضى الجمع بين هذه الوجوه المتغايرة المتعددة لذات الله.

و هو ما جعل الجاحظ يكشف عن هذه المقولات ليبرز التناقض الموجود بينها، و قد انطلق في ذلك معتمدا على التفاوت الموجود بين أناجيلهم حول تاريخ هذه القضية الـــتي انفرد بها إنجيل يوحنا دون بقية الأناجيل الأخرى، حيث جاء في مطلع إنجيل يوحنـــا:" في البدء كان كلمة، و الكلمة كان عند الله، و كان الكلمة الله... و الكلمة صار جسدا و حلّ بيننا"[4].

إلاّ أن الجاحظ لم يبرز الجانب التاريخي لهذه العقيدة التي عرضها، ثم قام بدحضـــها، فهل و فق في ذلك؟

و نحن إذ نقوم بتسليط الضوء جزئيا على الجانب التاريخي و الخلاف الدائر حول هذه العقيدة، و مثل هذا مهم في فهم أصل و حقيقة هذه العقائد.

---

[1] ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ص359-360.

[2] عبد الكريم الخطيب: ، المرجع السابق ، ص 170.

[3] المرجع نفسه، ص 170.

[4] يوحنا 1/1 14 .

المطلب الأول : الأصول التاريخية لعقيدة التجسيد

عقيدة التجسيد عند النصارى هي عقيدة وثنية عامة ظهرت بقوة في الديانات الوثنية المصرية و اليونانية و الرومانية و كذلك في الهندية و الآشورية. و عقيدة التجسد هذه عند أصحاب الأديان الوثنية القديمة، تعني أن الله تعالى أخذ صورة جسد، أو يحل في جسد . قال دوان: "و من عقائد الوثنين القدماء قولهم بالتجسيد، تجسيد أحد الآلهة و نزوله و سكنه معهم، وقد ورد ذكر ذلك على أنواع كثيرة من التصورات و الروايات الشرقية"[1].

و لا تكاد الديانات الوثنية تخلو من عقيدة التجسيد هذه عن طريق ولادة الإله من أم بشرية، أي نزول الإله و تجسده و ظهوره بالناسوت "و قد كانت منتشرة بين الرومان و اليونان انتشارا كبيرا، بل كانت معتادة إلى حد كبير، مما يسّر إدخالها في الديانة النصرانية، و ذيوعها و انتشارها"[2].

هذه العقيدة التي تقول بها النصارى قد سبقهم إليها اليونانيون، فهم كانوا يدعون أبطالهم في القرون الماضية آلهة و أولاد آلهة، و أنهم ظهروا بالناسوت، و من جملة أبناء الآلهة هرقل "من الإله" المشتري. و عندهم أن "برومسيوس" [3] إله اتحد لاهوته بناسوته فهو ذو نشأتين إلهية و جسدية في جسم واحد، و هو إنسان و إله حقيقيان في وقت واحد[4].

كما اعتقد المصريون القدامى فكرة التجسيد بدون ولادة من عذراء إذ " أن الفرعون المصري ابن رع من صلبه و تجسيد له على الأرض، و يتضح هذا جلّيا من الألقاب الرسمية التي كان يتخذها الفرعون من الأوسمة التي كان يحملها"[5].

و هناك رواية تتعلق ب "رومولس" الذي سمّيت روما باسمه تقول:" إن العذراء ديهيا سلفيا اغتصبت وولدت توأمين، قيل أن أباهما، كان مارس إله الحرب، وأنه أثناء عاصفة مفاجئة مرّ الغيم فوق رأس رومولس اختفى و لم يعد على الأرض واعتبر إله ابن إله"[6].

---

[1] محمد طاهر التنير البيروني: العقائد الوثنية، مرجع سابق ، ص 58 .

[2] المرجع نفسه، ص 34.

[3] برومسيوس: إسم مشتق من كلمة يونانية معناها البصر و العناية الإلهية ، المرجع نفسه، ص 100.

[4] المرجع نفسه، ص 100 ، و دون كويبت : أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، مرجع سابق، ص115

[5] أحمد فخري : الديانة في مصر الفرعونية، دط ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو، 1986م، ص 43 .

[6] سمية أحمد حسينة: مرجع سابق، ص 359 .

و عقيدة تجسد الإله التي يقول بها النصارى قد سبقهم إليها الهنود أيضا في كثير من التصورات والروايات ،و لم يزل كرشنا حتى هذه الساعة الإله المحبوب عند نساء الهنود، و الفرقة التي تحترمه مشغوفة بعبادته، وقد نشروا تعاليم يتمسكون بها أشد التمسك وهي أن كرشنا يخالف كل الآلهة التي تجسدت لأنها لم يكن فيها إلاّ جزءا من الألوهية، أمّا كرشنا فهو نفس الإله فشنو ظهر بالناسوت[1] .

و جاء في بعض كتبهم أن كرشنا قال: "سأتجسد في متواربيت يادوا، وأخرج من رحم ديفاكي، أولد وأموت، وقد حان الوقت لإظهار قوتي وتخليص الأرض من حملها"[2].

قال داوان :" والإله بوذا المولود من العذراء مايا الذي يعبده بوذيو الهند وغيرهم يقولون عنه إنه ترك الفردوس، ونزل إلى الأرض، وظهر بالناسوت رحمة بالناس كي ينقدهم من الآثام ويرشدهم صراطا مستقيما، ويحمل أوزارهم ويفديهم مما يستحقونه من العذاب بأخذه عنهم ما يستحقون من القصاص"[3].

من هذه المقدمات نلاحظ أن لهذه الأمم تراثها الضخم من الديانات الوثنية التي تلقفتها النصرانية فكان أثرها واضحا فيها " فالوثنية الرومية مسخت دين المسيح، ومسخه أهمه. وكان أكثر مسخا له وتحريفا له هو قسطنطين حامي ديار النصرانية ورافع لواءها"[4]. وبذلك نادت النصرانية بالتجسيد لما استقرت في" الدولة الرومانية ذات النظام الاجتماعي الذي شكلته الفلسفة اليونانية الوثنية والقانون الروماني"[5].

انتشرت النصرانية أيضا وسط هذه الوثنيات وقد ساعد على ذلك مجموعة من العوامل منها السياسية ومنها الدينية، مما سمح لها بالتداخل و التلاقح فيما بينهما[6]، و قد

---

[1] محمد طاهر التنير البيروتي: ، المرجع السابق، ص 93.

[2] المرجع نفسه، ص 95.

[3] المرجع نفسه، ص 96.

[4] أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط 9 ، (الكويت، د ار القلم ، 1993م)، ص 166 .

[5] أ. [illegible] الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، ص 178. .

[6] [illegible] المسيحية مرجع سابق، ص 228.

كان في اعتقاد النصارى " أن الديانة الجديدة ستزدهر إذ طعمت ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة"[1].

و قد شكلت هذه الديانة الجديدة في داخل هذا الفكر على النحو الذي قام به بولس[2]، واضع اللاهوت المسيحي، وأنه لذلك قد فسّر المسيحية تفسيرا يتفق مع تفكيره ذو المزاج اليوناني[3]، وقد قال بولس في التجسيد في أكثر من موضع، قال:" وبالإجماع عظيم هو سرّ التقوى ...الله ظهر في الجسد ..تبرر في الروح"[4].

والنصارى يقرون بأن بولس هو أول من قال بالتجسيد في النصرانية ،حيث " لم تظهر هذه العقيدة في قول أحد قبله لا من الحواريين و لا من غيرهم في رواية مكتوبة أو شفوية، وهذا يرد على من قال بأن فكرة التجسيد لم ترد صراحة في رسائل بولس أو في أسفار الكتاب المقدس"[5].

و قد حاول أن يترل الله الواحد إلى الأرض حتى يراه الناس رأي العين، وبخاصة الرومان الذين كانوا يرون أربابهم ممثلة في تلك التماثيل التي يرمز كل منها إلى إله ذي تعريف خاص به في هذا الوجود[6] .

إلاّ أن أصحاب هذا القول بالتجسيد تتضارب آراءهم وتأخذ مقولاتهم صوّرا وأشكالا مختلفة مع مرور الزمن وانكشاف كثير من جوانب الضعف في هذه المقولات،" إذ كان كلّما أظهر الزمن عوار مقولة وتفاهتها أتبعوها بمقولة أخرى تمسكها من أن تسقط فتكون النتيجة أن يسقطا معا"[7] .هذه الآراء والأشكال المختلفة هي ما يعبر عنها أيضا الخطيب بقوله: "إذا عرفنا أن قضية التجسيد قضية فريدة بين القضايا التي التقى بها العقل البشري، وأن هذا العقل سيظل أبدا يدور حولها، دون أن يحصل منها على مكان يقف عنده

[1] شارل جنيبر: المرجع السابق، ص 228.
[2] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[3] عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق ، ص 171.
[4] غلاطية: 4/4.
[5] مصطفى شاهين: النصرانية ، مرجع سابق، ص 267.
[6] عبد الكريم الخطيب: المرجع نفسه، ص 134.
[7] المرجع نفسه، ص 138.

موقف الاطمئنان، وإذا عرفنا هذا فلا نعجب إذا رأينا تلك المقولات المتضاربة حيالها حتى عند الشخص الواحد بل وفي المقولة الواحدة "[1].

و هكذا ظلّ العقل المسيحي يتقلب من وجه إلى آخر باحثا عن مدلولات فلسفية لنصوصه الدينية، ناحتا مما ترسب من ثقافات وثنية وفلسفات دينية في عقول معتنقيها من صوّر ومشاهد وملحمات، ومما احتفظ به التاريخ و ا لذاكرة الجماعية لهذه الشعوب، معتنقا إياها ومحاولا في الآن نفسه أن يضفي عليها صبغة شرعية دينية يجعل منها مصدرا عقديا يحتكم إليه في أمور دينه ودنياه، ولعلّ أكثر هذه الفلسفات الوثنية أثرا في روح وعقل النصارى هي الفلسفة اليونانية التي تعددت مفاهيمها و اختلفت لديهم – النصارى – وهو ما نلاحظه عند طوائفهم وفرقهم المشهورة.

[1] المرجع السابق، ص 183.

المطلب الثاني: أنواع المسيحولوجية

المسيحولوجيا الملكية :

ما نسب في شأن هذه العقيدة إلى الملكية التي تقول:" إن المسيح جوهران أحدهما قديم و الآخر محدث "[1]، وأن المسيح شخص واحد، وأن لطبيعته مشيئتين، يقول ابن تيمية:حسب ما يذهب إليه أصحاب الملكية" إن الابن الأزلي الذي هو الله الكلمة تجسد من مريم جسدا كاملا كسائر أجساد الناس، وركب في ذلك الجسد نفسا كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس، و أنه صار إنسانا بالنفس والجسد اللّذين هما جوهر الناس، و إلها بجوهر اللاّهوت كمثل أبيه لم يزل، وهو إنسان بجوهر الناسوت مثل إبراهيم و داود، و هو شخص واحد لم يزد عدده، وثبت له جوهر اللاّهوت كما لم يزل، وصحّ له جوهر الناسوت الذي لبسه من مريم و هو شخص وحد لم يزد عدده، وطبيعتان و لكل واحد من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته مشيئة مثل الأب و الروح، وله بناسوته مشيئة مثل مشيئة إبراهيم وداود"[2]. و أيضا قالوا:" إن مريم ولدت إلها، وأن المسيح و هو اسم يجمع اللاّهوت و الناسوت "[3]. و قالوا:" إن الله لم يمت، والذي ولدت مريم قد مات بجوهر ناسوته، فهو إله تام بجوهر لاهوته و إنسان تام بجوهر ناسوته، وله مشيئة اللاّهوت، ومشيئة الناسوت، و هو شخص واحد لا نقول شخصان لئلاّ يلزمنا القول بأربعة أقانيم"[4].

أمّا الباقلاني فيعدد المسيحولوجيا الملكية بقوله:" وزعمت الروم – وهم الملكية أنّ معنى اتحاد الكلمة بالجسد أنّ الاثنين صارا واحدا وصارت الكثرة قلة، وصارت الكلمة وما اتحد به واحدا، وكان هذا الواحد بالاتحاد اثنين قبل ذلك"[5].

و في بيان المتحد به يزعمون في نظره " أن الابن إنما اتحد بالإنسان الكلي، وهو الجوهر الجامع لسائر أشخاص الناس، لكي يخلص الجوهر الجامع لسائر الناس في المعصية.

---

[1] القاضي عبد الجبار: المغني، مرجع سابق ج5، ص 83.

[2] ابن تيمية: المرجع السابق ، ج 2، ص 364 .

[3] المرجع نفسه ،ج 2 ، ص 315.

[4] المرجع نفسه، ج2، ص364 .

[5] الباقلاني: التمهيد، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، دط ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1987م) ، ص 98.

وهو إذا اتحد بالإنسان الكلّي صار معه واحدا"[1].

إن أهم ما كان يميز المسيحولوجيا الملكية القول بأن المسيح أقنوم واحد ذو جوهرين : لاهوتي وناسوتي ، وطبيعتين، ومشيئتين .

وقد اعتمد القاضي عبد الجبّار على هذا التمييز فقال:" وحكى عن بعضهم في الاتحاد أنه بمعنى المشيئة لا أن الذاتيين اتحدا في الحقيقة، لكنهم اختلفوا في ذلك من وجه آخر، فذهب بعضهم إلى أن الجوهر العام اتحد بالإنسان الكلي، و قال بعضهم: اتحد بإنسان شخصي...وربّما قالوا: إن الإبن اتحد بالإنسان الكلي ليخلص الكلّ، وقال بعضهم: اتحد بالإنسان الجزئي ليخلص الجزء"[2].

المسيحولوجية النسطورية :

أصحاب هذه الفرقة تدعي بأن " المسيح إله و إنسان ماسح و ممسوح اتحدا فصارا مسيحا واحدا، ومعنى اتحدا، أنه صار من اثنين واحدا، و المسيح عندهم على الحقيقة جوهران اقنومان، جوهر قديم لم يزل و هو الكلمة التي هي أحد أقانيم الإله، و جوهر محدث كان بعد أن لم يكن و هو يسوع المولود من مريم،و ربما جعلوا بدل اتحد، وتجسد،و ربّما قالوا تأنس و تركب"[3].

وهذا الاختلاف والتناقض حتى حول مفهوم واحد للصفات التي نسبوها للمسيح -عليه السلام-لتبرير قولهم بهذه العقيدة دليل على عدم صحة ما يدّعون .

المسيحولوجية اليعقوبية :

مفهوم عقيدة التجسيد عند اليعقوبية تنبني على القول:" إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين إحداهما طبيعة الناسوت و الأخرى طبيعة اللاّهوت، وأن هاتين الطبيعتين تركبت كما تركبت النفس مع البدن فصارتا إنسانا واحدا و جوهرا واحدا، و أن هذه الطبيعة الواحدة و الشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كلّه و إنسان كلّه، و هو شخص واحد وطبيعة واحدة من طبيعتين"[4].

---

[1] المرجع السابق ، ص 92.

[2] القاضي عبد الجبار: المغني، مرجع سابق ، ج5، ص 83.

[3] المرجع نفسه، ص 82-83

[4] أبي حنيفة المرجع السابق ، ج2، ص 314

أمّا مفهومهم حول اللاّهوت المتجسد في المسيح –عليه السلام– فإنه مـــات و ألم و صلب متجسدا حيث قالوا: "إن مريم ولدت الله ...وأن الله مات و ألم و صلب متجسدا و دفن وقام من بين الأموات وصعد إلى السماء"[1].

و أمّا الاختلاف والتناقض بين اليعاقبة حول هذا المفهوم في عقيـــدة التجســـيد في شخص المسيح–عليه السلام– هو سبب انقسامهم إلى قسمين يتفاوت بينهم العـــدد، إذ أن أكثر اليعقوبية تعتقد " أن المسيح جوهر واحد إلاّ أنه جوهرين، أحدهما جوهر الإله القـــديم و الآخر جوهر الإنسان اتحدا فصارا جوهرا واحد أقنوما واحدا ..."[2].

أمّا مسيحولوجيا بعض اليعقوبية فمنهم من قال:" إن المسيح جوهر واحد قديم مـــن جهة، محدث من جهة، غير مولود من جهة، مصلوب مقتول من جهة، غير مقتول مصلوب من جهة، و منهم من قال إن القتل و الصلب والموت و الألم كان على الحيلولـــة لا علـــى اليقين، و أن الجنس المتحد به لطيف لا تحله الآلام"[3].

وهي كلها مقولات غير قابلة للفهم عقلا، ومنطقا غير قابلة للتركيـــب، للتنـــاقض الذي بين مقرراتها، إذ أنها مقررات تثير العجب والدهشة ،وينكر بعضها بعضا ويتبرأ أولهـــا من آخرها.

المطلب الثالث: رد الجاحظ على عقيدة التجسيد

لقد أولى الجاحظ المسيحولوجيا النصرانية اهتماما كبيرا بالغا، حيث عرض أقـــوال النصارى عرضا مجملا منهجيا دون أن يخص كل فرقة باسمها، فبدأ بتوجيه أسئلة لهم، ثم يرد عليهم بالنقد الموضوعي المنهجي عقلا و نقلا ليبين ما اتفقوا عليه و ما اختلفوا فيـــه حـــول مفهوم التجسد. إلاّ أن ما يميز اهتمامه بهذه العقيدة هو عدم تناوله إياها بالبحث في التبلـــور التاريخي لها.

إذن بدأ بعرض هذه العقيدة التي يرى فيها النصارى أن المسيح لاهوت و ناسوت، إذ أنهم يرون أنه إله تام فيه جزء لاهوتي، و جزء آخر ناسوتي فقالوا إن اللاهوت و الناسوت

[1] المرجع السابق ، ج2، ص 315.

[2] القاضي عبد الجبار: المغني ، المرجع السابق . ص 83 84.

[3] المرجع نفسه، ص 84.

صارا جوهرا واحدا، و بعضهم يقول صارا شخصا واحدا. و قد عمد إلى تبيين أن النصارى لا يتفقون في جزئيات هذه العقيدة، فعمد إلى طرح هذه الأسئلة التي خصّها بالتحليل و النقد فقال:" **و سنسألهم إن شاء الله، و نجيب عنهم، و نستقصي لهم في جوابا تهم كما** سألنا لهم أنفسنا و استقصينا لهم مسائلهم.

فيقال لهم :هل يخلو المسيح أن يكون إنسانا بلا إله؟ أو إلها بلا إنسان؟ ..أو أن يكون إلها و إنسانا؟

فإن زعموا أنه كان إلها بلا إنسان قلنا لهم: فهو الذي كان صغيرا فشب و التحى، و الذي كان يأكل و يشرب و ينجو و يبول، و قتل – بزعمكم - ، و صلب، و ولدته مريم و أرضعته، أم غيره هو الذي كان يأكل و يشرب على ما وصفنا ؟..."[1].

الجاحظ يلزم النصارى بهذه الأدلة العقلية ليثبت تناقضهم في قولهم: **إن المسيح لاّهوتا** و ناسوتا **هو بن مريم و** له صفات المحدث كالولادة و القتل، و هم مع ذلك **يدعون** أنه هو القديم، فألتبس عليهم القول فما كان من أمرهم إلاّ أن تناقضوا، لأن الله عز وجل لا يجوز أن يوصف بمثل هذه الصفات التي تجري على الإنسان من الولادة و الصغر و الكبرو الأكل و الشرب و كل الصفات التي تعتري الإنسان إذ ليس كمثله شيء **فلا يتصف** بكل ذلك، ولا يجوز له شيء في هذا. و اليهود لم يدعوا قتل لاهوت، ولا أثبتوا لله لاهوت في المسيح[2]، كما نصّ القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى:﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾[3]، **و كذلك قوله تعالى:﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾**[4] ، فالمسيح عندهم هو الله ومن المعلوم أنه يمتنع رفع نفسه إلى نفسه، وأيضا قوله تعالى: ﴿ **وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**

---

[1] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 125

[2] ابن تيمية: المرجع السابق ، ج2، ص 330.

[3] آل عمران: 55

[4] النساء: 158.

شَهِيدٌ﴾ [1]، دليل على أنه بعد توفيته لم يكن الرقيب عليهم إلاّ الله دون المسيح، فعندهم أن الله هو الخالق الرازق رب العالمين ، و رفع رب العالمين إلى رب العالمين ممتنع[2].

يواصل الجاحظ نقده فيقول:" و كيف يكون إله بلا إنسان وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان ؟... وليس القول في غيره ممن صفته كصفته إلاّ كالقول فيه كاشتمالها على غيره .

و إن زعموا أنه لم ينقلب عن الإنسانية، و لم يتحول عن جوهر البشرية، و لكن لمّا كان اللاّهوت فيه صار خالقا سمي إلها، قلنا لهم: خبرونا عن اللاّهوت أكان فيه و في غيره أم كان فيه دون غيره ؟

فإن زعموا أنه كان فيه و في غيره فليس هو أولى بأن يكون خالقا و يتسمى إلها من غيره، و إن كان فيه دون غيره فقد صار اللاهوت جسما"[3].

يذهب من خلال هذا أن النصارى إن زعموأن اللاّهوت المتحد بناسوت المسيح هو الخالق و هو الآذن، فجعلوا الخالق هو الآذن، لأن اللاّهوت إذا كان هو الخالق لم يحتج إلى أن يأذن لنفسه، و أنهم يقولون: هو إله واحد و هو الخالق فكيف يحتاج أن يأذن لنفسه و ينعم على نفسه. و ما حقيقة المسيح إلاّ كما وصفه القرآن الكريم ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ**﴾[4]

فالقرآن الكريم أنتقد كل معتقد من شأنه أن يعدد الإله أو الآلهة، أو أن يضفي عليه صفات التجسيد. و هو ما ذهب إليه الجاحظ بعد ما عرض هذه الأقوال في عقيدة التجسيد عند بعض الطوائف النصرانية التي طفق يرد عليها بقوله: يلزمهم على مقتضى قولهم أن المسيح تكون ذاته كذات الله و له علم و قدرة كعلمه و قدرته إلى سائر الصفات الأزلية، وهذا باطل بنص الإنجيل الذي مايز بين الصفات الأزلية و هو الإله الأزلي، و بين الصفات الخاصة بالمسيح الذي لا يمكن أن يرقى إلى هذه المرتبة من العظمة .

---

[1] المائدة : 117.

[2] ابن تيمية، المرجع السابق ، ج2، ص 331.

[3] الجاحظ : الجواب في الرد على النصارى، ص126.

[4] المائدة : 75.

يستعمل الجاحظ المنهج العقلي في الرد على قول النصارى في هذا المجال الذي يستند في تفنيده لعقيدة التجسيد هذه باعتبارها لا معقولة، إذ يصعب على العقل تقبل ربوبية إنسان، لأن ذلك يفضي إلى القول باتحاد القدم و الحدوث، ومنح صفات إلهية إلى ذات إنسانية تخضع لكل العوارض التي تلحق بالبشر.

و قد اعتمد الأدّلة العقلية و الأدّلة المستوحاة من نصوصهم في نقد و إبطال قولهم، فالأدّلة العقلية: من صفات الله أنه خالق الأحياء و غيرهم، و الخالق أكمل من المخلوق، فكل كمال ثبت للمخلوق فهو من الخالق، فيمتنع أن يكون المخلوق أكمل من خالقه، و كماله أكمل منه[1].

و أن الله موصوف بصفات الكمال الثبوتية كالعلم و الحياة و القدرة فيلزمهم من ثبوتها سلب صفات النقص[2] ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [3].

و أنه يكفي عدم هذه الصفات،" فإن عدم مجرد الحياة و العلم و القدرة صفة نقص سواء قدر الموصوف قابلا لها أو غير قابل، بل إذا قدر أنه غير قابل لها كان ذلك أبلغ في النقص"[4]

أمّا من الأدّلة المستوحاة من نصوصهم: الجاحظ يبطل القول بالتثليث بنصوص الإنجيل، و ينتقد النصارى لتعارضهم و اختلافهم فيما ذهبوا إليه بالقول:"...و لا بلغنا ذلك عن أحد من الأمم السابقة و القرون الماضية، و لا في الإنجيل، و لا في ذكر صفات المسيح في الكتب و البشارات به على ألسنة الرسل... ثم يجمع النصارى على رده مع حبهم لتقوية أمره"[5]. وبيان بطلانه ما قاله مرقس: إن الحواريين سألوا عيسى عن الساعة و قيامها، و أن عيسى لا يعلم إلاّ ما علمه الله " و أما ذلك اليوم و تلك الساعة فلا يعلم بها أحد و لا الملائكة الذين في السماء و لا الإبن إلا الأب"[6]. و هذا إقرار من عيسى عليه السلام بأنه ناقص علم حتى عن الملائكة و أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الساعة وقيامها. وهذا يدل على

---

[1] ابن تيمية: المرجع السابق ، ج2، ص 118، و القرافي : الأجوبة الفاخرة، مرجع سابق ، ص 111.

[2] ابن تيمية: المرجع نفسه، ص 119.

[3] البقرة: 255.

[4] ابن تيمية: المرجع نفسه ، ص 126.

[5] الجاحظ: الرد على النصارى، ص 78.

[6] مرقس: 22/13.

شيئين:" على أن اسم الإبن إنما يقع على الناسوت دون اللاهوت، فإن اللاّهوت لا يجوز أن ينفي عنه علم الساعة، و يدل على أن الإبن لم يكن ما يعلمه الله، و هذا يبطل قولهم بالإتحاد، **فإنه لو كان الإتحاد حقا كما يزعمون لكان يعلم ما يعلمه الله، و يقدر على ما يقدر عليه، فإنه هو الله عندهم و الناسوت لا يتميز عندهم عن اللاّهوت فيما يوصف به** المسيح من كونه عالما قادرا يحيي و يميت"[1].

و من قولهم في هذه القاعدة: بأن عيسى له طبيعتان، لاهوتية وناسوتية، وأنهما صارتا شيئا واحدا .

و الطبيعة الناسوتية هي أخذ من مريم العذراء وأتحدت به، و أما اللاّهوتية هي طبيعة كلام الله وروحه .

الجاحظ يذكر أن النصارى يقولون بأن الإله اتحد مع الإنسان فصارا شيئا واحدا، غير أن كلام النصارى في هذا القول مختلف ومضطرب وهم على فرق .

فالنسطورية: تذهب إلى القول:" إن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة وأن طبيعة اللاّهوت التي للمسيح غير طبيعة ناسوته، و أن طبيعة اللاّهوت لمّا توحدت بالناسوت بشخصها الكلمة التي صارت الطبيعتان بجهة واحدة، وأراءه واحدة و اللاّهوت لا يقبل زيادة و لا نقصان، و لا يمتزج بشيء، و الناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان بذلك الإنسان إلها و إنسانا، فهو إله بجوهر اللاّهوت الذي لا يزيد و لا ينقص، و هو إنسان بجوهر الناسوت القابل للزيادة والنقصان"[2]. والملكانية قالوا:" فمازجت الكلمة جسد المسيح فصارت شيئا واحدا وصارت الكثرة قلة"[3].

أمّا اليعقوبية فقالوا:" إن الكلمة انقلبت لحما ودما فقالوا: وصارت شرذمة من كل صنف إلى أن المراد بالاتحاد ظهور اللاهوت على الناسوت"[4].

هذا الإختلاف والتناقض، وتباين المنطلقات في التأويل يفسره قول الجاحظ:" وكيف تقدر على ذلك، وأنت لو خلوت ونصراني نسطوري فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولا،

---

[1] ابن تيمية: المرجع السابق ، ص 252، 253..

[2] المرجع نفسه ، ج2، ص 364.

[3] المرجع نفسه ، ص 355.

[4] المرجع نفسه، ص 356.

ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطوري مثله فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده و كذلك جميع الملكانية واليعقوبية"[1].

و أما قولهم:" **فصار اللاّهوت إنسانا محدثا تاما مخلقا، وصار الناسوت إلها تاما خالقا** غير مخلوق". يبين الجاحظ **بأن إيمان النصارى بهذا القول محال في العقل و العادة، فالعقل** الصريح يجزم بأن:﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[2].و أن هذا جمع بين النقيضين، إذ " **الخالق يجب له الوجود والقدم و يمتنع عليه العدم فيلزم أن يكون المخلوق واجب الوجود قديما أزليا لم يعد قط، و كونه محدثا مخلوقا يستلزم أن يكون كان معدوما، فيلزم أن يكون معدوما قديما محدثا. و أيضا فالمخلوق يمتنع عليه القدم، و يجب له سابقة العدم، فلو وجب للخالق القديم ما يجب له لو جب كون الواجب القدم واجب الحدوث بعد العدم**"[3] .

إذن **يؤكد الجاحظ الغموض الذي يكتنف غور عقائد هذه الفرق و تشقيقاتها،** لذلك يقول:" **و لذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية** "[4].ثم يواصل نقده فيقول:" **و أين كان لاهوته لمّا مات ناسوته، لا سيّما على قولهم إنما إتحدا و تمازجا والتحما ؟؟ فما الذي فرق بينهما عندما ضرب جسده و ناسوته بالسياط –على زعمهم – و عصب رأسه بالشوك، و صلب على خشبة و طعن بالرماح حتى مات و هو يصيح جزعا و خوفا ؟؟ فأين غاب لاهوته عن ناسوته في هذه الشدائد؟ مع الممازجة، و الإلتحام على قولهم ؟**

و هم يزعمون أن لا هوته فارقه عند الصلب و القتل، و هبط إلى جهنم **فأخرج منها الأنبياء، و كان ناسوته في القبر مدفونا حتى رجع إليه لاهوته فأخرجه من القبر و رجع إليه، ثم صعد به إلى السماء**"[5]

---

[1] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 95

[2] الشورى: 11.

[3] ابن تيمية: المرجع السابق، ج2، ص 117.

[4] الجاحظ: المصدر نفسه، ص 95.

[5] – الجاحظ: قس الأنوار، مصدر سابق، ص 138.

يستند الجاحظ هنا على المنهج العقلي النقدي لإبطال هذا الإدعاء إذ من المعقـــول أن ما يصيب البدن من الآلام تتألم به الروح، و ما تتألم به الروح يتألم به البدن، لذلك فهو يلزمهم:

أولا عقلا:أن يكون الناسوت لمّا صلب و تألم و توجع الوجع الشديد كان اللاّهوت أيضا متوجعا متألما .

وثانيا : يلزمهم بنص الإنجيل حينما زعموا أن لاّهوته فارقه عند الصـــلب و القتـــل التناقض في قولهم :" أن اللاّهوت مند اتحد بالناسوت لم يفارقه"[1] فإن قالوا: إن المتحد بـــه بعض ذلك دون بعض ، فقد قالوا بالتبعيض و التجزئة فهم بين أمرين، إمّا بطلان مذهبهم، و إمّا اعترافهم بالتبعيض و التجزئة مع بطلانه[2].

و أما قولهم: كان ناسوته في القبر مدفونا حتى رجع إليه لاهوته فأخرجه من القبر و رجع إليه، ثم صعد به إلى السماء ، يتعارض عقلا مع شهادة تلميذه." ليسوع الناصـــري الذي كان إنسانا نبيا مقتدرا في الفعل و القول و أمام الله و جميع الشعب"[3]. فهذا إقرار فيه بأنه نبي، و ليس له إلا طبيعة واحدة أدمية أيده الله بمعجزات .

أمّا رده على قوله بالطبيعتين: أنه لا يتقرر في عقل سليم أنه مرج بعض مخلوقاته حتى صار شيء واحد، بل هذا أقبح ممن يقول: "إن الماء و النار صار شيئا واحد، و النـــور و الظلام صارا شيئا واحد، لأن إدعاء هذا في النار و الماء و النور و الظلمة، إنما كان محالا من جهة أن كل واحد من هذا ضد الآخر"[4]. فالجمع بين نقيضين في موضوع واحد محال. ذلك ما أراد الجاحظ إنكاره و بطلانه إذ كيف يزعمون أن لعيسى- عليه الســـلام- طبيعـــتين صارتا شيئا واحدا، و في أناجيلهم ما يشهد بأنه ليس له إلاّ طبيعة واحدة آدمية؟

[1] ابن تيمية : المرجع السابق، ج2، ص 180.

[2] المصدر السابق. ص 182.

[3] لوقا: 24.

[4] البرهان: الحجة الأريب ، مرجع سابق ،ص 85.

و برهان ذلك ما قاله متى:" و أمّا يسوع فقال لهم ليس نبي بلا كرامة إلاّ في وطنه و في بيته"[1]. و هذا إقرار منه بأنه نبي من جملة الأنبياء، و ليس للأنبياء كلهم إلا طبيعة واحدة آدمية.

و في يوحنا:" و هذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت **الإله الحقيقي وحدك، ويسوع** المسيح الذي أرسلت"[2].

و في مرقس:" **إن أول الوصاية اسمع يا إسرائيل الرب إلهانا واحد، ونحب إلهانا** واحد ...."[3]. و هذه النصوص مليئة بإثباتات كثيرة للوحدانية .

و يؤيد ذلك أيضا ما قاله شمعون الصفا (رئيس الحواريين) **لليهود عندما نافقوا** على المسيح فقال:" **يا رجال بني إسرائيل إسمعوا مقالتي رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة** و التأييد و **المعجزات** التي أجرها الله تعالى على يديه و **أنتم كفرتم به**"[4]. و **أن كل ما** جرى منها على يديه **إنما هو** بقدرة الله تعالى ليس للمسيح فيها كسب.

مما تقدم بيانه نرى بأن عقيدة التجسد الإلهي –عليه السلام – **ليست سوى** جزء من **نظام وضعه البشر و لم يستندوا فيه** إلى سلطان إلهي.

---

[1] متى: 57/13.

[2] يوحنا: 3/17.

[3] مرقس: 28/12-35.

[4] البرهان: المرجع السابق ، ص87.

المبحث الثاني : منهج الجاحظ في الرد على عقيدة الصلب و الفداء .

تمهيد :

عقيدة الصلب والفداء ،هي عصب العقيدة المسيحية التي تقول بها أكثر الطوائف النصرانية، جوهر هذه العقيدة يدور حول خطيئة آدم التي لا يمكن التخلص من رجسها إلاّ بصلب المسيح عليه السلام تكفيرا وفداء –عن هذه الخطيئة – للبشرية من بعده .ف" يعتقد المسيحيون أن الله سبحانه أوصى آدم بأن لا يأكل من الشجرة، فأكل منها بإغواء إبليس،فأستحق هو وذريته الفناء، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمة منه بعباده جسّد كلمته، وهي ابنه الأزلي تجسّدا ظاهرا ورضى بموته على الصليب، وهو غير مستحق لذلك، لكي يكون ذلك فداء للخطيئة الأولى وعدلها، ولم يكن في استطاعة أحد أن يقوم بذلك الفداء سوى ابن الله وابن الإنسان معا، وكما أن ذلك الابن و هذا الفداء هو المسيح عيسى ولد مريم العذراء"[1]. و بناء على هذا فما هو المنطلق الأساسي الذي ترتكز عليه النصرانية في القول بصلب المسيح ؟

المطلب الأول :الأصول التاريخية لعقيدة الصلب والفداء .

يرجع النصارى فكرة الصلب، و ضرورة إلحاقها بالمسيح إلى خطيئة أصلية علقت بالإنسان الأول لتخليص العالم مما لحق به من خطيئة آدم، و قد حاولوا التدليل على ذلك بما نسجوه من روايات يظهر فيها رمز الصليب واستعماله من طرف الملك قسطنطين[2] إلاّ أن" الثابت تاريخيا أن النصارى في القرون الأولى قبل هذا الملك لم يعرفوا ذلك"[3] و أن هذه ليست بفكرة نصرانية محضة، حيث " أثبتت الكشوف الأثرية الحديثة أن الشعوب عرفت الخطيئة قبل مجيء النصرانية بعدة قرون وتوارثها الأبناء لعدة أجيال"[4].

---

[1] محمد أبو زهرة: مرجع سابق، ص 99.

[2] القرافي: ، مرجع سابق، ص161.

[3] عبد العزيز إسماعيل صقر: افتراءات النصارى في ضوء القرآن الكريم، (مجلة الشريعة، عدد 23. سنة: 9)، ص 66 .

[4] Edwards Chiera: les tablettes babyloniennes. (paris payot) p143.

إن عقيدة الصلب والفداء في المسيحية مردّها إلى الوثنية في الديانات التي سبقت المسيحية بأجيال وأجيال،" فاليهود استمدوا من بابل أهم قصصهم الدينية، كقصة الخلق والخطيئة والطوفان و موت الإله و بعثه"[1]، و في آدابهم وجدوا " ترانيم متشائمة، يسري فيها الشعور بالذنب والخطيئة"[2].

و للنصرانية جذور وثنية فارسية استلهمتها من الإله مترا وفي ذلك يقول : ROPERSTON " إن ديانة مترا لم تنته في روما إلاّ بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية"[3].

و من أثر الوثنية الهندية على عقيدة الصلب عند النصارى، ذلك المعتقد القديم في تجسد الآلهة وصلبهم لفداء البشر "فقد كان سكان الهند يعبدون إلها مصلوبا اسمه بالي وكانوا يعتقدون أن "فشنو تجسد فيه ويصوّرونه مثقوب الجنب واليدين"[4] ومما يؤكد تأثر النصرانية بديانة كرشنا أنّ " المصادر التاريخية تثبت أنها كانت منتشرة في الهند قبل القرن الميلادي الأول"[5].فقد عرف الهنود القدماء فكرة الخطيئة وكيف الخلاص منها فكان "تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين و غيرهم"[6]، و يعتقد الهنود أيضا في كرشنا " المولود البكر الذي هو نفس الآلهة فشنو الذي لا ابتداء له ولا انتهاء- تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلّص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه"[7]. و " يصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا لأنه قدم نفسه ذبيحة"[8]. وما يرويه البوذيون عن"بوذا أكثر انطباقا على ما يرويه النصارى عن المسيح"[9]، فهم يسمونه المسيح، والمولود الوحيد، ومخلص العالم، ويقولون:"إنه إنسان

---

[1] Denis saurat l , ibid , p 110.

[2] ول ديورانت : قصة الحضارة، ج 11، ص 223-224.

[3] أحمد شلبي: المسيحية، ص 182.

[4] محمد بريو العالي: الكتاب المقدس في الميزان، ص 325.

[5] E.Royston pike , ibid ,p118

[6] محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج2، ص 32.

[7] المرجع نفسه، ص 32، و مصطفى شاهين: النصرانية ، مرجع سابق، ص 225.

[8] المرجع نفسه، ص 32، و مصطفى شاهين ، المرجع نفسه ، ص 225.

[9] أحمد شلبي: المسيحية، مرجع سابق ، ص 182.

كامل والله كامل تجسد بالناسوت،و أنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر عن البشر، ويخلصهم من ذنوبهم، فلا يعاقبون عليها، ويجعلهم وارثين لملكوت السماوات"[1].

كل هذه الشواهد تدل على أنّ هذه العقيدة، التي هي أصل الد ين و أساسه عند النصارى وثنية المصدر، وليس فيها أبدا ما يمت بصلة إلى الأديان السماوية، ولا إلى ما دعا إليه الـــأنبياء عليهم السلام

المطلب الثاني :الخلاف العقدي حول الصلب والفداء

إن قضية قتل المسيح –عليه السلام – وصلبه هي الأساس الثاني الذي تدور عليه رحى الديانة النصرانية، فهي أصل من أصول دينهم، ودعامة من دعائم عقيدتهم، فلا يتحصل بدونها عبادة، ولا برّ، ولا تقوى، ولا خلاص، ولا يقبل إيمان ولا ينفع عمل إلا بالاعتقاد بصلب المسيح.

فوفاة عيسى –عليه السلام – على الصليب هي عصب العقيدة النصرانية، لأن كلامهم عن الله والخليقة، وعن الخطيئة والموت، مستمد من المسيح المصلوب، وأنّ كلامهم عن الكنيسة، و عن تاريخهم، و أملهم و مستقبلهم ...ينبع أيضا من المسيح المصلوب .

وهم يستندون في ذلك إلى ما جاء في كتبهم المقدسة " أن الله محبة، وظهرت هذه المحبة في تدبيره الخلاص للعالم، لأن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة ،ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمه رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم".[2]

إذن كان اتفاقهم على أنّ المسيح –عليه السلام –قتل وصلب لخلاصهم، إلا أنهم اختلفوا في القتل والصلب، وهذا الاختلاف تقول به فرقهم المشهورة وأيضا تقول به كلّ مصادرهم: "فالنسطورية زعموا أنّ المسيح صلب من جهة الناسوت لا من جهة اللاهوت،والملكانية تقول:إن الصلب وقع على المسيح كلّه.وأمّا اليعقوبية فتقول: إن الصلب والقتل وقع في الجوهر الواحد الكائن من الجوهرين اللّذين هما الإله والإنسان"[3].

---

[1] محمد رشيد رضا: المرجع السابق، ص 33.

[2] ابن تيمية: مرجع سابق ، ج:2، ص314.

[3] القاضي عبد الجبار: المغني، مرجع سابق ، ج:5، ص 84 .

كذلك اختلفت أناجيلهم المقدسة وتناقضت في رواية الصلب والفداء وما يتعلق بها من مصير المسيح بعد القبض عليه،و حول سبب صلبه ...

فمتى ومرقس ذكرا في إنجيلهما حين آل أمر المسيح للصلب –في زعمهم- أنه صلب معه لصّان، واحد عن اليمين، و واحد عن اليسار ، و كان المجتازون يجدفون عليه و هم يهزون رؤوسهم قائلين:" يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلّص نفسك إن كنت ابن الله"[1] ثم قال متى: وبذلك أيضا كان اللّصان اللّذان صلبا معه يعيرانه ولفظ مرقس واللّذان صلبا معه كانا يعيرانه .

و في إنجيل لوقا : أن المسيح عيسى –عليه السلام –لّما جاء إلى المكان المسمى بالجمجمة صلبوه هناك ومعه عاملا الشر، أحدهما عن يمينه، والأخر عن شماله، قال:" وكان الشعب واقفين ينظرون، والرؤساء أيضا معهم يسخرون به قائلين: خلّص آخرين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله، وكان واحد من المذمين المعلقين يجدف عليه إن كنت أنت المسيح فخلّص نفسك وإيانا، فأجاب الآخر وأنتهره قائلا: أولا أنت تخاف الله إن أنت تحت هذا الحكم بعينه، أمّا نحن فبعدل ننال استحقاق ما فعلنا، و أمّا هذا فلم يفعل شيئا ليس في محلّه. ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك فقال له يسوع: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس."[2]

صرح صاحب هذا الكلام لوقا في إنجيله: أن اللّصين اللّذين صلبا معه، كان أحدهما مؤمنا به، عطوفا عليه ،والآخر سابا له، مستهزئا به، وسبق تصريح متى، و مرقس كليهما أن اللّصين كانا كافرين به، سابين له، كل منهما ساخر منه، و الواقعة واحدة .ولا شك في تكاذب هذه الوقائع، "وأن قائليها طالت عليهم الأزمان إلى أن يقولوا أشياء يسمونها على يقين"[3].و الأمثلة في هذا التناقض كثيرة[4]، وإنما اكتفينا بهذا التدليل على عدم وقوع حادثة صلب المسيح –عليه السلام –.

---

[1] متى: 38/27-44، مرقس: 27/5-32..

[2] لوقا: 33/23-43.

[3] الجويني: شفاء العليل، مرجع سابق ، ص 53-54 .

[4] ر. العاملي: الكتاب المقدس، مرجع سابق ، ص 251-286، و أحمد حجازي السقا: مرجع سابق ، ص 41 و ما بعدها

يعتبر كذلك بولس واحد من أهم المصادر المسيحية القائلة بصلب المسيح، إذ لابد من الإشارة إليه، لأنه تبنى فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر، وروّج لها في رسالته:" **لقد كان الصلب وسفك الدم هو ما عزم بولس على أن لا يعرف من المسيحية غيره**" [1]، يقول:" لأنني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلاّ يسوع المسيح وإياه مصلوبا" [2]،و يقول:" وأذكركم أيها الأخوان بالبشارة التي حملتها إليكم وقبلتموها...سلّمت إليكم قبل كل شيء ما قبلته وهو أنّ المسيح مات من أجل خطايانا كما جاء في الكتب".[3]

هذه العقيدة التي تبناها بولس والتي صارت من أخطر قضايا العقيدة النصرانية، عاش يفلسفها ويدعو لها، يناقض نفسه فيها ،لأنها لم تكن على الإطلاق من وصايا المسيح ولا من رسالته، و هذا التناقض نستشفه من قوله: "فإننا نعلم أن الناموس روحي، و أمّا أنا فجسدي مبيع تحت الخطيئة لأنني لست أفعل ما أريده ...".[4] **لذلك يذهب الجاحظ إلى إبطال ماادعاه** بولس حول المسيح –عليه السلام- من ألوهيته وبشريته، بل ينفي عنه معرفة هذا، و يؤكد ذلك بقوله:" لأن بولس وإن كان عنده أن عيسى –عليه السلام – اله فهو لا يعرف الله تعالى، بل لا يعرف الربوبية من العبودية، و البشرية من الإلهية"[5].

إذن هذه هي عقيدة الصلب والفداء و تاريخها و الاختلافات الدائرة حولها في الفكر النصراني، و سوف نقوم بعرض منهج الجاحظ في نقده لاعتقاد النصارى و أقوالهم في صلب المسيح – عليه السلام فما هي الآيات التي استخدمها في ذلك ؟

المبحث الثاني :رد الجاحظ على عقيدة الصلب والفداء

حادثة الصلب هي المحور الذي تدور عليه المسيحية، و الصورة التي تملأ قلوب المسيحيين وتشغل عقولهم، هي" اعتبار أن الله تجسد وصلب لكي يخلص البشرية من خطيئتها.ويعيد إليها الحياة الأبدية التي سلبها إياها الشيطان"[6]، و منها كانت البداية في تأليه

---

[1] أبي حامد الغزالي: الرد الجميل، مرجع سابق ، ص 143.

[2] رسالة بولس إلى أهل كورنتوس 2-2.

[3] كورنتوس الأول: 15/1-3.

[4] عبد العزيز صقر: افتراءات النصارى، مرجع سابق، ص: 257.

[5] الجاحظ: حجج النبوّة، ص 251.

[6] عبد الكريم الخطيب: مرجع سابق ، ص 363.

– عيسى عليه السلام – وهما دار الخلاف بينهم وبين المسلمين. فهم يعتقدون أن المسيح بن مريم قد صلب، و أنه مات على الصليب، و هي الحقيقة الواحدة التي أجمعوا عليها، و اتفقوا عندها، فلا اتفاق بينهم في شخص المسيح ألاّ عليها، و إن كانوا قد اختلفوا في دوافع الصلب نفسه، و ذلك ما أقره بولس في قوله: نحن نكرز بالمسيح مصلوبا"[1].

و أما اعتقاد المسلمين فيه فهو إيمان يقيني بأنه ما قتل وما صلب، و لكن الله رفعه إليه، ذلك ما أقره القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**﴾"[2].

هذا الخلاف نمثله في المجهود الذي قام به الجاحظ لرد هذه العقيدة التي تمسك بها هؤلاء القوم وجعلوا منها "البذرة التي تخلقت منها شجرة المسيحية وترعرعت ثم صارت دوحة عظيمة مترامية الأطراف، يستظل بظلها ويطعم من ثمرها ملايين البشر، في أجيال الحياة، جيلا بعد جيل، منذ صلب المسيح، و إلى اليوم و إلى ما بعد اليوم"[3].

و رغم أنها– قضية صلب المسيح – لم تحظ بدراسة وافية من قبل الجاحظ و لم تكن محاولاته حولها إلاّ مدخلا شديد الإيجاز في الرد عليها، لأنه لم يصب كل اهتمامه على اختلافات وتناقضات الأناجيل في أحداث الصلب الدقيقة، و لعل ذلك يعود إلى ظرفية الصراع النصراني الإسلامي حول كبريات المسائل الخلافية المتعلقة بالتوحيد الذي يطبع رسالة الإسلام السمحاء.[4]

و مع ذلك فقد اتخذ موقفا حاسما تجاه الاعتقاد بصلب المسيح حيث دلّل على معنى مغاير لما يفهمونه، و يعتقدونه، "لو لم يصلب المسيح لما كان للمسيحية هذا الوجه الذي

---

[1] بولس: كورنتوس: 23/1.

[2] النساء : 157- 159

[3] عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق ، ص 347-348. .

[4] عبد المجيد الشرفي: ، المرجع السابق ، ص 378.

تبدو فيه، بل لما كان لها وجه أصلا" [1]، مع أنهم يتناقضون و يختلفون. يقول الجاحظ: "لأن النصارى حين جعلوا ربهم إنسانا مثلهم بخعت نفوسهم بألوهيته له لتوهمهم الربوبية، و أسمحت بالمودّة لتوهمهم البشرية فلذلك قدروا على العبادة على ما لم يقدر عليه سواهم، و لقد غالت القوم، و دعاهم أمر فانظروا ما هو ؟ و إن سألتني عنه خبّرتك، إنما هو نتيجة أحد أمرين، إمّا تقليد الرجال،و إمّا طلب تعظيمهم، و لذلك السبب لم ترض اليهود من إنكار حقه بتكذيبه، حتى طلبت قتله والمثلة به، ثم لم ترض بذلك حتى زعمت أنه لغير رشده، فلو كانت دون هذه المنزلة منزلة لما انتهت اليهود دون بلوغها، ولو كانت فوق ما قالت النصارى منزلة لما انتهت دون غايتها"[2].

و نحن إذ نكشف عن منهجه في رده عليهم يمكن أن نتبين أنه استخدم منهج تحليل الأخبار، حيث يوضح أسباب اعتقادهم لحادثة الصلب في زعمهم، فهم يستندون لما جاء في كتبهم المقدسة، "لأجل الصلب نزل الأقنوم الثاني من التثليث النصراني إلى الأرض، ليتجسد في هيكل عيسى – عليه السلام- ليصلب لتخليص الناس أجمعين."[3]

فمن خلال منهجه يكشف لنا عن مذهب النصارى في اعتقادهم تقبل المسيح الصلب، و حمل اللّعنة التي كانت واقعة على كل إنسان، فيرجعها إلى تقليد أسلافهم،"فكيف و موضوع مذهبهم التقليد و الرجوع إلى خبر الأربعة، و لا يجوز أن يقع بخبر الأربعة العلم"[4].و هؤلاء الأربعة هم يوحنا، متى،مرقس، لوقا، معروف عنهم عنده ،أنه لا يجوز أن يقع بخبرهم العلم لكذبهم،أو شكهم فيما يرونه، و أنهم أخطأوا من جهة النقل و التأويل، و أنه يجوز عليهم التغيير و التبديل و التهمة للكذب، يقول ا سبينوزا:" يوجد في كل إنجيل ما لا يوجد في الإنجيل الآخر، و لم يختر الله هؤلاء الكتاب الأربعة، و لم يخبرهم بشيء، بل كيف كل منهم إنجيله طبقا لبيئته وعصره لإثبات ما يريد إثباته، و لا تتفق الأناجيل الأربعة إلاّ على النزر اليسير ..."[5].

---

[1] المرجع السابق، ص 348.

[2] الجاحظ: حجج النبوّة ، ص 252..

[3] المرجع السابق، ص349

[4] القاضي عبد الجبار: المغني، المرجع السابق ، ج5، ص 142.

[5] أسبينوزا: رسالة في اللاّهوت و السياسة، ترجمة و تقديم حسن حنفي، ط3، (بيروت، دار الطليعة، 1994)، ص 75 .

لذلك كان موقف الجاحظ واضحا حيث لا يجوز الاعتماد على نقلهم فيما يجوز على الله تعالى، و ما لا يجوز، و لا يصح اعتقاد النصارى لتقليدهم لهم، فعند الغزالي (أبو حامد) "أن مصدر جهل الناس و تعصبهم إنما هو التقليد. فالتقليد لا يصلح أن يكون مصدرا للإيمان".[1]

و مخالفة القرآن الكريم مرويات أهل الكتاب لحادثة الصلب التي قررها في وضوح وتأكيد ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[2].منها وجد الجاحظ الطريق الأمثل لرد هذه العقيدة استنادا مطلقا إلى نصوص القرآن الكريم، و قد استخدم المنهج العقلي المنطقي للتدليل على خبر الصلب طالما أن النصارى لم يحضروه كافة، و هو ما يذهب إليه ابن حزم في قوله:" فكيف جوّزتم على هذه الكواف العظام المختلفة الأهواء في الأديان والبلدان والأزمان نقل الباطل، فليست أولى بذلك من كوافكم في نقلها أعلام نبيّكم وشرائعه وكتابه"[3]، و يصر على أن صلب المسيح لم ينقل من طرف الكواف، لأنه لا يجوز حسبه أن يسمح الله تعالى بتمويه كافة البشر عن أمر أدركته و عاينته بحواسها، إلاّ أن يكون بأمر خارق، لما في ذلك من مخالفة المعقول، إذ أن الله ألزم بقبول شهادات الكافة، و يضرب لذلك مثلا،حيث يجوز أن يصلب الواحد و الأكثر بفقدان العقل، و لكن ليس من الجائز أن تفقد الأمة كلّها عقلها وصوابها".[4]

و ما تمسك الجاحظ بنصوص القرآن في إبطال دعوى النصارى إلا ليؤكد أن ذلك باطل بالتواتر عند أمتي اليهود و النصارى، لأنه ليس هناك دليل يثبت ذلك سوى هذه الأناجيل الأربعة التي لم يتحقق توتر سندها لأن " رواة الخبر قليلون، و أن الحواريون فروا

---

[1] فكتور سعيد باسل: منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي، دط ،(بيروت ، دار الكتاب اللبناني، دت)، ص 94.

[2] آل عمران : 55.

[3] ابن حزم: الأصول و الفروع، تحقيق و تعليق، محمد عاطف العراقي، سهير فضل الله أبو وافية، إبراهيم هلال ، ط1 ،(القاهرة ، دار النهضة العربية، 1978)، ص 384-385.

[4] ابن حزم: الفصل في الأهواء و الملل و النحل، ج1، ص 59-60.

عن المسيح – عليه السلام– لأنه لو وجد أحد منهم لقتله اليهود، فحينئذ عدد التواتر متعذر من جهة شيعة النصارى، و من جهة اليهود فلأن المباشر منهم للصلب إنما هم أعوان الولاة"[1]، و هذه القلة في الخبر يجوّز عليها القرائي الكذب، و عدم إفادة خبرهم العلم فيقول: "و ذلك في مجرى العادة يكون نفرا قليلا كالثلاثة ونحوها يجوز عليهم الكذب، و لا يفيد خبرهم العلم"[2].

و قد اتضح هذا عند نقد الجاحظ الأناجيل الأربعة، التي أراد من خلالها أن يعطي صورة نقدية للصلب التاريخي لإبراز الاختلاف بالزيادة والنقصان، و الرواية بالمعنى وما فيها من الاختلاف بالزيادة و النقصان. و هو دليل على أن المسيح – عليه السلام – لم يصلب و لم يقتل، و برهان ذلك " أن قتله إن لم يكن (أشهر) من ولادته من غير ذكر، فهو مثله في الشهرة و لابد. ثم إن ولادته من غير ذلك لما كان له وجود، تواتر تواترا لم يختلف فيه اثنان منا و منكم، فلّما اختلفنا في قتله، دلّ على أنه لم يبلغ تلك المرتبة من التواتر فلم يثبت بمجرد الدعاوى أو الحجج الضعيفة، و إنما كان الأمر في ذلك مشتبها، كما نصّ عليه القرآن فأشتبه عليكم"[3].

و قد أراد أن يعطي صورة ممكنة هي أن المصلوب شخص شبه عليهم، فهو ليس بأي حال من الأحوال عيسى–عليه السلام– حتى تتفق هذه النتائج مع التصورات القرآنية للصلب المزعوم.

إذن كان قد أبدى وأكد أنّ النصارى إنّما قلّدوا في الصلب رؤسائهم مثل نسطور ويعقوب، و من كان على دين الملك، لذلك لا يثبت لهم على النظر قول:" فهناك علامات واضحة لا يمكن أن يقصدها كتاب الأناجيل، لأنها علامات نفهمها الآن وفقا لما درسناه من تطور الدعوة المسيحية، و لم يكن لها محل في رؤوس الرواة المشاهدين أو الناقلين".[4]

---

[1] مصطفى حلمي: الإسلام و الأديان ، مرجع سابق، ص 236.

[2] القرافي:المرجع السابق ، ص 53.

[3] سليمان الطوخي: الإنتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، دراسة و تحقيق: سالم بن محمد القرافي، ط1،(الرياض، مكتبة العبيكان، 1419هـ، 1999م)، ص 324.

[4] العقاد: العقائد و المذاهب، مرجع سابق، مج 11، ص 295.

يمضي ويحلل الأسباب النفسية عند كل النصارى واليهود فيقول:" لذلك السبب لم ترض اليهود من إنكار حقه بتكذيبه حتى طلبت قتله، و المثلة به، ثم لم ترض بذلك حتى زعمت أنّه لغير رشده، فلو كانت دون هذه المنزلة منزلة لما انتهت اليهود دون بلوغها، و لو كانت فوق ما قالت النصارى منزلة لما انتهت دون غايتها".[1]

و لما كان قد استخدم منهج تحليل الأخبار، فإنما عمل على تنقيح هذه الأخبار بالبحث في الملابسات المحيطة بالواقعة انطلاقا من نفسية اليهود و النصارى. باحثا عن مبررات التحريف نفسها، أي الجذور النفسية و الأخلاقية لأعمال التحريف. يقول علي بن زين الطبري:" على أن من أدّى تلك الأخبار إليكم لم يكن فيه أحد أدّعى أنه أخذها عن من شاهد المسيح أو موسى – عليهما السلام- من آبائه و أجداده، كما تدّعي العرب عن آبائها و أجدادها الذين شاهدوا النبي –عليه السلام- فإن الرجل منهم يحدّثه عن جدّه أو جدّ جدّه أو بعض أهله بما رأى"[2]، و كذلك ما يذهب إليه الطوفي في قوله:" فاعتقدتم أنتم أن المسيح صلب، و قوى ذلك الاعتقاد في نفوسكم:حنقكم على اليهود، و حب تقرير العلم للعدوان عليهم، اعتقدت ذلك اليهود كما اعتقدتموه، و حملهم على ذلك الاعتقاد حب الغلبة والظفر بمن اعتقدوه عدوا لهم".[3]

يمكن أن نتبين من ردود الجاحظ على النصارى في عقيدة الصلب والفداء عاملين أساسيين دفعاه إلى رفض هذه العقيدة :

- معجزة ميلاد المسيح –عليه السلام – لا تتجاوز حدود الإنسان لتجعل منه إلها أوابن إله، و أن اليهود ما استطاعوا قتله كما جزم القرآن الكريم.

---

[1] الجاحظ: حجج النبوّة، ص 252.

[2] علي بن ربن الطبري: الدين و الدولة في اثبات نبوة محمد-صلى الله عليه وسلم-، تحقيق و تقديم، عادل نويهض ، ط3 ، (بيروت، منشورات دار الأفاق الجديدة، 1979)، ص 204.

[3] نجم الدين البغدادي الطوفي: الإنتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان، دراسة و تحقيق: أحمد حجازي السقا، دط ، (مصر،دار البيان العربي، 1983م،) ص 103.

وأن التصوّر الإسلامي لله يقوم على أنّه تواب غفور رحيم، فلا مجال فيه لإله فاد لأن كلّ إنسان مسؤول عن عمله وعن خطئه.﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.[1]

فنفي ألوهية المسيح –عليه السلام– عنده يؤدي إلى نفي الفداء وما يرمز إليه الصلب قال: "وليس بحكم من ابتذل نفسه في توقير عبده ووضع من قدره في التوفير على غيره، و ليس من الحكمة أن تحسن إلى عبدك بأن تسيء إلى نفسك و تأتي من الفضل ما لا يجب بتضييع ما يجب، و كثير الحمد ما لا يقوم بقليل الذم، و لم يحمد الله و لم يعرف ألهيته من جوّز عليه صفات البشر، و مناسبة الخلق و مقاربة العباد".[2]

بل عنده من هو على هذه الحال ،هو من لا يعرف عظمة الله وصغر قدر الإنسان، و بذلك يذهب إلى تأكيد صحة ما يقول في نفي ما يرمز إليه الصلب بقوله:" و بعد فلا يخلو المولى في رفع عبده و إكرامه من أحد أمرين:إمّا أن يكون لا يقدر على كرامته إلاّ بهوان نفسه، أو يكون على ذلك قادرا مع وفارة العظمة و تمام البهاء.و إن كان لا يقدر على رفع قدر غيره إلاّ بأن ينقص من قدر نفسه فهذا هو العجز وضيق الذّرع. و إن كان على ذلك قادرا، فآثر ابتذال نفسه، و الحط من شرفه فهذا هو الجهل الذي لا (يحتمل) .. والوجهان عن الله جلّ جلاله منفيان".[3]

من عجائب النصارى أنهم يدّعون في عيسى – عليه السلام – الألوهية مع ادّعائهم فيه غاية العجز حتى الصلب، فهو عندهم قد عجز على تحقيق ما جاء من أجله و عن ربط الشيطان عن بني آدم يقول الجاحظ:" وقد زعمتم أن الشيطان هو دلّ على عيسى وسلّطهم عليه و أمكنهم منه[4] فهلا ربط عيسى الشيطان عن نفسه و أمتنع منه، إن كان الشيطان هو فعل ذلك به كما زعمتم ! معاذ الله أن يفعل ذلك به و لكنكم قوم تجهلون".[5]

---

[1] الزلزلة: 7-8.

[2] الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، ص 103.

[3] المصدر نفسه ، ص 103-104.

[4] لوقا: 3/22.

[5] عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق ، ص 399.

كان انحدار المسيح إلى الجحيم لتخليص النفوس من قبضة إبليس محلّ مؤاخذة شديدة من قبل الجاحظ، لاسيّما وأن فيمن ماتوا أنبياء وصالحين لا يقبل الجاحظ أن تكون نفوسهم تحت سلطة الشيطان مهما كانت الأسباب والدواعي:" وزعمتم من غرتكم بالله وجهالتكم بأمره أنه من مات من النفوس منذ خلق آدم كانت و إبليس رأس الخطيئة يسلّط عليها و يحكم فيها حتى جاءه عيسى فانتزعها منه وغلبه عليها.و كان في تلك النفوس نفس آدم و نوح و إبراهيم و موسى و أنفس من أكرم الله من أنبياءه وصالح خلقه الذين كانوا يطيعون الله ويعبدونه ويعملون له و يعادون إبليس ويكفرون به. أفما كان لإبليس ليعذب تلك النفوس الصالحة وقد قدر عليها بعد تركهم إياها وكفرهم به ويرحم النفوس الكافرة التي كانت تعبده وتؤمن به وتعمل له؟ ! ما كان الله سبحانه وبحمده ليستخزن إبليس على أنفس أنبياءه وصالح خلقه الذين يعبدونه ولا يسلّطه عليهم، و ما كان الشيطان ليغلب الله على تلك النفوس فأمن قدرة الله وسلطانه سبحان الله ما أضّل من قال هذا بقدرته وسلطانه".[1]

لأن من سنة الله في رسله أن أيدهم وقوّى عزمهم ونصرهم على أعدائهم، فعيسى –عليه السلام – إذا كان لا يجوز أن يكون رسولا مهزوما فكيف يكون ربا مصلوبا ؟

لذلك أنكرت بعض العقول و الطوائف المسيحية المتحررة المفكرة صلب المسيح،فقد ظهر في القرن الثاني الميلادي فلاسفة أطلقوا على أنفسهم "الغنوصيين"[2] أقبلوا على فحص تعاليم المسيحية فأنكروا صلب المسيح، و قالوا أن شمعان القيرواني، رضي أن يصلب عوضا عن المسيح، لذلك جعل الله هيئته مثل هيئة المسيح، و ترك شمعان يصلب عوضا عنه[3].

و يعلق ول ديورانت على ما ورد في الأناجيل عن حادثة الصلب فيقول:" و لا يسع الإنسان إلاّ أن يشك في هذه التفاصيل التي تناقلها الناس مشافهة في أغلب الظن ثم دوّنوها بعد وقوعها بزمن طويل ".[4]

---

[1] المرجع السابق ، ص 401.

[2] الغنوصية: هي بدع ظهرت في القرن 2، خليط من الوثنيات تقول : بثنائية تطابق بين البشر و المادة أو الجسد و الأهواء، و بين الخير و مادة روحية صادرة عن عالم آخر ، صبحي حموى اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، مرجع سابق ، ص 346.

[3] محمد بن الشريف: الأديان في القرآن، مرجع سابق ، ص 210.

[4] ول ديورانت: مرجع سابق ، مج3، ج3، ص 238.

و قد أنكر أرنست دي يونس الألماني حادثة الصلب استنادا إلى الأدّلة التاريخية يقول:" إن جميع ما يختص بمسائل الصلب و الفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، و من شابهه من الذين لم يروا المسيح – عليه السلام –، و قد أنكر كثيرون من المؤمنين بعيسى في بداية النصرانية أن المسيح نفسه هو الذي رفع على الصليب، و أصروا على أن أحد أتباعه يهوذا الأسخريوطي أو شخصا آخر يشبهه تماما هو الذي ألقي القبض عليه وصلب بدلا منه".[1]

و يقول مامن:" إن تنفيذ الحكم على المصلوب كان أثناء الظلام مما يستنتج منه إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا منتظرين تنفيذ حكم القتل.[2]

و منهم أيضا كوائيليس شيس الذي أعلن رأيه برفض الأساس العقائدي للصلب، لأن ذنب آدم لم يضر إلاّ آدم، و لم يكن له تأثير على بني النوع البشري و الأطفال الرضع حين تضعهم أمهاتهم يكونون كما كان آدم فيما قبل أن يذنب.[3]

و يصور لنا الدكتور وولتر وأسكار لندبرج[4] التجربة التي مر بها أثناء مراحل طلب العلم فيقول:" و حتى عندما تتحرر عقول الناس من الخوف فليس سهلا أن تتحرر من التعصب و الأهواء، ففي جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون من طفولتهم في إله هو صورة إنسان، بدلا من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض. و عندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية، فإن تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تسمح مع أسلوبهم في التفكير، أو مع أي منطق مقبول، و أخيرا عندما تفشل جميع المحاولات في التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة،

---

[1] عبد العزيز إسماعيل صقر: مرجع سابق ، ص 65.

[2] مصطفى حلمي: الإسلام و الأديان ، مرجع سابق ، ص 239.

[3] المرجع نفسه، ص240.

[4] عالم الفسيولوجية و الكيمياء الحيوية، حاصل على دكتوراة من جامعة جونز هوبنكز، أستاذ الكيمياء الفسيولوجية بجامعة منيسوتا، أستاذ الكيمياء الحيوية الزراعية بجامعة منيسوتا ، عميد معهد هورمل منذ سنة 1949، عضو و رئيس جمعيات عديدة لدراسة الطعام و تركيبه الغذائي.المرجع نفسه، ص 242.

و بين مقتضيات المنطق و التفكير العلمي نجد هؤلاء المفكرين يتخلّصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية".[1]

و موريس بوكاي إذ يتحدث عن أصالة نصوص الوحي المسيحي والوحي الإسلامي، فيذكر الفرق الأساسي بين المسيحية و الإسلام، و هي غياب النص الموحي به عند المسيحية، بينما يملك الإسلام القرآن الكريم الذي يحقق هذا التعريف.

فقراءة النصوص الكاملة في الأناجيل تثير اضطرابا عميقا لدى المسيحيين، و حيرة كبيرة لوجود المتناقضات ، و الأمور البعيدة عن التصديق التي يكشف عنها، و هو يتأسف لتبرير الاحتفاظ في نصوص الإنجيل ببعض المقاطع الباطلة خلافا لكل منطق و يقول: و مع ذلك فقد أثبتت التجربة أنه إذا كان بعضهم قادرا على فضح بعض مواطن الضعف من هذا النوع، فإن الغالبية من المسيحيين لم تدرك حتى الآن وجود الضعف و ظلت في جهالة تامة من أمر ذلك التناقض...[2]

[1] جون كلوفر مونسها: الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة الدرمرداش عبد المجيد سرحان، مراجعة جمال الدين الفندي، ط4 ،(القاهرة، الجمعية المصرية، 1986 م)، ص 50.

[2] موريس بوكاي: مرجع سابق ، ص: 10-11.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأخيرا جاءت خاتمة الرسالة وقد ضمنتها خلاصة لما تضمنه البحث من نتائج وهى:

ـــ إن تنوع الموارد الفكرية عند الجاحظ ،والذي كان من ثماره تنوع المنهج لم تفض إلى الاضطراب المنهجي الذي اصطبغ به كثير من المهتمين بالدراسات الدينية النقدية المقارنة.

ـــ إن تنوع المنهج عند الجاحظ لم ينسه ضرورة اتباع الطرائق الموضوعية فى جدال الخصم بعيدا عن المواقف الارتجالية غير المؤسسة،وغير الموضوعية.

ـــ إن سعة المدارك وتنوع الموارد الفكرية عند الجاحظ جعله يمزج فى كثير من الأحيان بين المنهج الأدبي والمنهج العلمي،ودلك بمراعاة طبيعة السياقات التي تفرضها.

ـــ إن الجاحظ يمثل فى الجانب الفكري نزعة عقدية تميل لاستعمال العقل فى القضايا المبحوثة والمسائل المدروسة،فلقد درك النقاد انه ينتمي فى هدا إلى التيار العقلي الذي،أو مدرسةالرأي فى الفكر الإسلامي ،وهده المدرسة لها خصوصيتها التي تميزها من المدارس الكلامية والفكرية الإسلامية الأخرى.

ـــ لقد وظف الجاحظ فى الرد على النصارى المنهج العقلي إلى ابعد حد لدلك جاءت استنباطاته ،واستنتاجاته ومواقفه موسومة بسمة عامة وهى السير فى ركاب العقل الإنساني.

ـــ ينطلق الجاحظ من قاعدة إن العقل لا يتعارض،وان البراهين التي هي نتاج العقل الإنساني لايمكن أن يناقض بعضها بعضا.

ـــ استعان الجاحظ بالطريقة العقلية في دحض كثير من المتناقضات التي تستغرق العهد القديم والعهد الجديد على حد سواء وهى طبيعة ظاهرة وحقيقة لافتة للنظر.

ـــ لقد استطاع الجاحظ بنظرته العقلية الكافية أن يعري النصوص التي يحتج بها كثير من كتبة الأناجيل،هده النصوص التي تفتقد ـــ حسب رأيه غالى كثير من الضبط.

ـــ إن الجاحظ نجح فى حد بعيد فى استخدام المنهج العقلي الذي يحافظ على السياق النصي والمبنى العام.

ـــ ردوده مستمدة من القرآن الكريم، وآراؤه منسجمة مع مذهبه الكلامي.

ـــ اهتم علماء الإسلام بمنهجه وبردوده التي تكشف طبيعة الصراع بين النصارى والمسلمين.

ـــ الإطلاع المباشر على كتب النصارى ، حيث اظهر معرفة جيدة بهده الكتب، واثبت فى آثاره نصوصا يمكن إرجاع أكثرها إلى مصادره الإنجيلية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

السورة	رأس الآية	الرقم	الصفحة
البقرة	" وقالوا اتخذ الله ولدا ..."	117/116	67
	" الله لا إله إلا هو ..."	255	87
	" تلك الرسل فضلنا بعضهم ..."	253	25
آل عمران	الله لا إله إلا هو ..."	4/3/2	28
	"إذ قال الله يا عيسى..."	55	99/85
	"إن مثل عيسى عند الله..."	59	64
النساء	"أفلا يتدبرون القرآن..."	82	41
	" فإن تنازعتم في شيء..."	59	51
	" وقولهم إنا قتلنا المسيح ..."	159/157	97
	" بل رفعه الله..."	158	85
	" ولا تقولوا على الله إلا الحق..."	171	62
المائدة	"يحرفون الكلم..."	13	42
	" ومن الذين قالوا إنا نصارى..."	14	35/27
	" لقد كفر الذين قالوا ..."	73	66/62
	" ما المسيح بن مريم ..."	110	44/27
	" إذ قال الله يا عيسى ..."	116	61/26
	" وكنت عليهم شهيدا..."	117	86
الأعراف	" اعبدوا الله ...."	59	أ
التوبة	" وقالت اليهود عزير بن الله..."	30	66
الحجر	"إنا نحن نزلنا الذكر..."	9	49
	"فإذا سويته ونفخت فيه..."	29	72

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مريم	"فأشارت إليه..."	30/29	45
	"فأشارت إليه قالوا..."	33/32/31/30/29	
			65/64
الأنبياء	"أم اتخذوا من دونه..."	24	63
الشورى	"ليس كمثله شيء..."	11	89
	"وكذلك أوحينا إليك..."	52	73/72
الحديد	"لتجدن أشد الناس..."	27	25
التحريم	"فنفخنا فيه..."	12	72/71
القدر	" تنزل الملائكة ..."	4	73/72
الزلزلة	" فمن يعمل مثقال..."	8/7	102

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس العهد الجديد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
متى			
وجدت حبلى...	1	14	46
فكيف يكون عيسى...	1	18	46
يا أبانا الذي في السماء...	6	9	67
فيما هو مجتاز ...	9	9	39
لا جيل شرير ...	12	39	44
يرسل ابن الإنسان ...	13	41	47
وأما يسوع فقال ...	13	57	91
إن عيسى قال لهم ...	26	23	43
أنه صلب معه ...	27	44/38	95
عمدوا الناس ...	28	19	60
لوقا			
إذا كان الكثيرون...	1	4	40
يا أبانا الذي في السماء...	11	38	70/67
إن عيسى قال ...	22	2	43
وكان الشعب واقفين ...	23	21	95
يسوع الناصري...	24	43/33	90
مرقس			
أنه صلب معه لصان...	5	32/27	95

الفقرة	الإصحاح	العدد	الصفحة
لماذا يعطى هذا الجيل	8	11	44
إن أول الوصايا ...	12	35/28	91
وأما ذلك اليوم...	13	22	87
إن عيسى قال ...	14	20/17	43
يوحنا			
وكان الكلمة الله...	1	1	73/46
في البدء كان الكلمة ...	1	14/1	77
الكلمة صار جسدا ...	1	14	46
الله لم يره أحد ...	1	18	47/46
إن عيسى قال ...	13	26/21	43
وهذه هي الحياة...	17	3	91
أنا ذاهب إلى أبي...	20	17	70/67
هذا هو التلميذ...	21	24	40
كورنتوس الأول			
نحن نكرز بالمسيح...	1	23	97
لأنني لم أعزم أن ...	2	2	96
وأذكركم أيها الإخوان ...	15	1/3	96
غلاطية			
وبالإجماع عظيم هو ...	4	4	80
بطرس الثانية			
وتسلم عليكم ...	5	13	39

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

رأس الحديث	الصفحة
اللهم رب السماوات السبع	28
لا تطروني كما أطرت النصارى	62
من شهد أن لا إله إلا الله	62

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

العلم **الصفحة**

إبراهيم – عليه السلام– 103/80/71/68/66

ابن أبي دؤاد 14

ابن حنين 10/9

ابن حزم 99/48

ابن خاقان 15/14

ابن زيد الأنصاري 12

ابن ماسويه 10

ابن فزارة 11

ابن القلمس 11

ابن المزرع يموت 11

أبو بكر– رضي الله عنه– 15

أبو زهرة 32/28

أبو نواس 11

الأخفش 12

أحمد بن عبد الوهاب 15

آدم – عليه السلام– 104/103/102/94/92/68/67/64/63/47

أرسطاليس 22

أريوس 76/59/56

الأصمعي 12

أفلاطون 22

الباجي ، أبو الوليد 44

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباقلاني 82
بحيرا 26
بطرس 39/31
بقراط 22
بوكاي 105/48/39/29
بولس 104/97/96/80/56/55/53/32
الجويني 44
الخزرجي 44
داوود- عليه السلام- 80/40
سيبويه 14
سلمان 26
شمعان الصفا 103/91
صالح -عليه السلام- 103/68
عبد الجبار القاضي 83/56/44/42
عيسى - عليه السلام- 45/44/42/39/37/33/31/30/28
63/62/61/47/46/
73/71/70/69/68/66/65/64
94/92/90/88/87/85/77/76
104/103/102/99/98/97/96/95
العلاف 9
القرافي 48/47
القرطبي 44
قسطنطين 92/79
لوقا 98/95/47/41/40/38/34/32/30

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المأمون 12/8
المتوكل 19/15/14/6
مبتى..... 41/40/39/38/34/33/31/30
98/95/91/47/46/44/43/
محمد بن عبد الملك الزيات 14
مرقس 98/95/91/87/44/43/39/38/34/33/32/31/30
مريم 62/61/58/46/41/40
97/92/88/86/85/84/83/82/77/71/70/65/
المسعودي 16/6
معاوية 12
المعتز بالله 16
المعتصم 6
موسى -عليه السلام-..... 103
النظام 69/13/12/9
نسطور 100/58/57
نوح -عليه السلام- 103
يعقوب -عليه السلام 100/40
يوحنا 98/91/48/47/46/43/40/38/34/33/32/30

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأماكن والبلدان

مرتبة ترتيبا ألفبائيا

البلد	الصفحة
الإسكندرية	58/56/55
أفسس	32/31/57
أنطاكية	31
أورشليم	31
إيطاليا	32
البصرة	16/15/12/9
بغداد	16/13/10/9/8/4
البندقية	32
تركيا	32
الجليل	76
الحبشة	31/20
خراسان	15
خليقدونية	58
دمشق	4
روما	78/32
سمراء	13
الشام	8
طرسوس	55
فلسطين	31/29
قبرص	31

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القدس 31
القسطنطينية 57
مصر 53/31
مكة 68
نيقية 56

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الفرق

مرتبة ترتيبا ألفبائيا

اسم الفرقة **الصفحة**

الدهرية 22

الديصانية 23

الرافضة 15

الزيدية 15

الصابئة .....

العلانية 23

الفريسيون..... 44

المعتزلة 69/8/6/2

الملكية 94/88/83/82/25

المنانية 23

النسطورية 94/88/83/77/25/21

اليعقوبية 94/88/84/83/77/26/21

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

أولا- الكتب المقدسة:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- العهد الجديد، ط1،(بيروت لبنان، جمعية الكتاب المقدس، 1995م).

ثانيا- المصادر:

1- الجاحظ: أبوعثمان عمر بن بحر(ت 255هـ).

- المختار في الرد عن النصارى، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، ط1، (القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، 1405هـ- 1984م).
- الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دط، (لبنان بيروت، دار الجيل، 1992م).
- الحيوان، تحقيق يحي الشامي، ط3، (بيروت، دار مكتبة الهلال، 1990م).
- مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق محمد طه الحاجري، دط، (بيروت لبنان، دار النهضة العربية، 1983م).
- رسائل الجاحظ، شرح وتقديم عبد- أ- مهنا،ط1،(بيروت،دار الحداثة، 1988م).
- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط4، (بيروت، مكتبة الجاحظ، دت).
- البيان والتبيين، تقديم وشرح علي أبو ملحم، ط1، (بيروت، دار مكتبة الهلال، 1408هـ - 1988م).
- العثمانية، تحقيق عبد السلام هارون، ط1، (بيروت، دار الجيل، 1411هـ - 1991م).
- رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح محمد عبد السلام هارون، ط1، (بيروت، دار الجيل، 1411هـ-1991م).
- البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط5، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1992م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا- المراجع:

1- إبراهيم: نمير سيف الدين، زكي علي، أحمد نجيب هاشم.

- مصر في العصور القديمة، دط، (القاهرة، مكتبة مدبولي، دت).

2- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت 633هـ).

- الكامل في التاريخ، ط5، (بيروت دار الكتاب العربي، 1405هـ).

3- أحمد: محمود حسن.

- العالم الإسلامي في العصر العباسي، دط، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1995م).

4- أمين: أحمد.

- ظهر الإسلام، ط4، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1966م).
- فجر الإسلام، ط10، (بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، 1969م).
- ضحى الإسلام، ط10، (بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، دت).

5- أسبينوزا: باروخ.

- رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم حسن حنفي، ط3، (بيروت، دار الطليعة، 1994)

6- أفاية: محمد نور الدين.

- الغرب المتخيل- صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، ط1، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2000م).

7- باسل: فيكتور سعيد.

- منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي، دط، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، دت).

8- الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب (ت 403هـ).

- التمهيد، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، دط، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1987م).

9- البغدادي: نجم الدين الطوفي.

- الإنتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان، دراسة وتحقيق احمد حجازي السقا. دط، (مصر، دار البيان العربي، 1983م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

10- البوطي: محمد سعيد رمضان.

- كبرى اليقينيات الكونية، ط8، (دمشق سوريا، دار الفكر، 1981م).

11- بوكاي: موريس

- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة لجنة من العلماء، ط2، (بيروت لبنان، دارالكندي، 1389هـ- 1978م).

12- البيروني: محمد بن طاهر التنير.

- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، ط1، (بيروت، دار عمران، القاهرة، مكتبة الزهراء، 1414هـ - 1993م).

13- الترجمان: عبد الله.

- تحفة الآريب في الرد عل أهل الصليب، تحقيق محمود علي حماية، ط3، (القاهرة، دار المعارف، 1992م).

14- التونجي: محمد.

- المعجم المفصل في اللغة والآدب، ط1،(بيروت لبنان،دار الكتاب العالمية،1413هـ - 1993م).

15- ابن تيمية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ).

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دط، (الإسكندرية مصر، دار بن خلدون، دت).

16- جبر: جميل.

- الجاحظ (حياته وآدابه)، ط4، (بيروت لبنان، الشركة العالمية للكتاب، 1999م).

17- جستينة: أحمد بسمة.

- تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ- أسبابه ونتائجه- ط1، (دمشق، دار القلم، 1420هـ).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

18- الجعفري: أبو البقاء صالح بن الحسين الهاشمي (ت 668هـ).
- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، دراسة وتحقيق محمود عبد الرحمان قدح، ط1، (المدينة المنورة، مكتبة العبيكان، 1419هـ- 1998م).
19- الجندي: أنور.
- الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، دط، (لبنان، الشركة العالمية للكتاب، دت).
20- الجويني: أبو المعالي عبد المالك بن عبد الله.
- شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تحقيق أحمد حجازي السقا، دط، (القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1979م).
21- الحاج: محمد أحمد.
- النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ط1،(دمشق،دار القلم،1413هـ- 1992م).
22- جنيبر: شارل.
- المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبد الحليم محمود، دط، (بيروت، المكتبة العصرية، دت).
23- الحاجري: طه.
- الجاحظ – حياته وآثاره- ط8، (مصر، دار المعارف، 1962م).
24- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ).
- الأصول والفروع، تحقيق وتعليق محمد عاطف العراقي وآخرون، ط1، (القاهرة، دارالنهضة العربية، 1978م).
25-حسن: إبراهيم حسن.
- تاريخ الإسلام –السياسي، الثقافي، الديني- ط3، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1411هـ 1991م).

26- الحصري: أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت 453هـ).
- زهر الآداب وثمرة الألباب، تحقيق زكي مبارك، دط، (مصر، مطبعة الرحمانية، 1995م).
27- حلمي: مصطفى.
- الإسلام والأديان – دراسة مقارنة- ط3، (الإسكندرية، دار الدعوة، 1422هـ - 2002م).
28- حمادة: محمد ماهر.
- دراسة وثنية للتاريخ الإسلامي ومصادره،دط،(بيروت،مؤسسة الرسالة، 1988م).
29- حمودة: محمود محمد.
- التبيان في الفرق والأديان، ط1، (عمان، مؤسسة الوراق، 2001م).
30- ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت 241هـ).
- المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، دط، (مكتبة التراث الإسلامي، 1978م).
31- الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (1089هـ).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دط، (بيروت لبنان، دار الآفاق الجديدة، دت).
32- الخزرجي: أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة (ت 582هـ).
- بين الإسلام والمسيحية، تحقيق وتقديم وتعليق محمد شامة، دط، (القاهرة، مكتبة وهبة، دت).
33- الخطيب: البغدادي أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ).
- تاريخ بغداد، دط، (المدنية، المكتبة السلفية، دت).
34- الخطيب: عبد الكريم.
- المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ط1، (مصر، دار الكتب الحديثة، 1385هـ 1965م).

35- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر (681هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دط، (بيروت، دار صادر، دت).
36- الخولي: محمد علي.
- مقارنة بين الأناجيل الأربعة، دط، (الأردن، دار الفلاح، 1993).
37- دي بور:
- تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الوهاب أبو ريدة، ط5، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1981م).
38- ديورانت: ول.
- قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط3، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965م).
39- رضا: محمد رشيد.
- تفسير المنار، ط2، (بيروت، دار المعارف، دت).
40- رفاعي: أحمد فريد.
- عصر المأمون، ط3، (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1346هـ- 1928م).
41- أبو زهرة: محمد.
- محاضرات في النصرانية، تقديم عمار طالبي، تصدير محمد الغزالي، دط، (الجزائر، شركة الشهاب 1986م).
42- السعدي: محمد.
- دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، دط، (الدوحة، دار الثقافة، 1985م).
43- سعيد: فاروق.
- بخلاء الجاحظ، ط3، (بيروت لبنان، دار الآفاق الجديدة، 1988م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

44- السقا: أحمد حجازي.

- المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ ديدات والقس سواجارت، دط، (الجزائر، مكتبة رحاب، دت).

45- السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 526هـ).

- الأنساب تقديم عبد الله عمر البارودي، ط1، (بيروت لبنان، دار الجنان، 1408هـ - 1988م).

46- السندوبي: حسن.

- أدب الجاحظ، ط1، (القاهرة، المطبعة الرحمانية، 1350هـ - 1931م).

47- شاهين: مصطفى.

- النصرانية – تاريخا وعقيدة وكتبا ومذاهب-، (دراسة وتحليل ومناقشة)، دط، (القاهرة ، دار الإعتصام، دت).

48- الشرفي: عبد المجيد.

- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى غاية القرن الرابع الهجري، دط، (تونس، الدار التونسية للنشر. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م).

49- بن شريف: محمد.

- الأديان في القرآن، ط5، (المملكة العربية السعودية، عكاظ للنشر والتوزيع، 1404هـ- 1984م).

50- الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى (ت 436هـ).

- أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2. (بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، 1387هـ - 1967م).

51- شلبي : أحمد

- مقارنة الأديان – اليهودية – ط8 ،(القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ،1985م).
- المسيحية ، ط8 ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1984م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

52- شلبي: رؤوف.

- أضواء على المسيحية ، دط ،(صيدا بيروت ، المكتبة العصرية ، 1985).

53- الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (548هـ).

- الملل والنحل ، تحقيق : أحمد فهمي محمد ، دط، (بيروت ، دار المعرفة ، 1980).

54- صبحي : أحمد محمود.

- بين الإسلام والمسيحية (في علم الكلام ، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية، في أصول الدين، المعتزلة) ، (بيروت ، دار النهضة العربية ،ط5 ، 1405هـ - 1985).

55- ضيف: شوقي.

- الفن ومذاهبه في النثر الأدبي ،ط11، (دار المعارف ،دت).

56- ابن طباطبا : أبو الحسن محمد بن أحمد الحسني العلوي (ت322هـ)

- الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية ، تحقيق محمد حسن محمد ، دط، (مكتبة الثقافة الدينية ،دت).

57- الطبري : علي بن ربن.

- الدين والدولة في إثبات نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم- ، تحقيق وتقديم : عادل نويهض، ط3 ،(بيروت ،منشورات دار الآفاق الجديدة ،1979).

58- الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)

- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دط ، (القاهرة ، دار المعارف،1968).

59- الطهطاوي: محمد عزت

- النصرانية في الميزان ، ط1، (دمشق ، دار القلم ، بيروت ، دار الشامية ، 1416هـ - 1995م).

60- الطوفي : سليمان بن عبد القوي الصرصري الحنبلي (ت716هـ)

• الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، دراسة وتحقيق : سالم بن محمد القرافي ، ط1 ،(الرياض، مكتبة العبيكان ، 1419هـ-1999م).

61- الفاخوري : حنا

• الجاحظ - سلسلة نوابغ الفكر العربي - ، دط ،(مصر ،دار المعارف ،دت).

62- فتاح : عرفان عبد الحميد

• النصرانية (نشأتها التاريخية وأصول عقائدها) ، ط1 ، (عمان الأردن ، دار عمار ، 1420هـ-2000م).

63- فخري : أحمد

• الديانة في مصر الفرعونية ،دط ، (القاهرة ، مكتبة الأنجلو ،1986).

64- القالي : أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت356هـ)

• الأمالي ،ط2 ،(بيروت ،لبنان ، دار الجيل ، 1407هـ - 1987م).

65- القرافي : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (ت684هـ).

• الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ،ط1 ، (بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية ،1986م).

66- قصاب: وليد

• التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة،دط ،(قطر الدوحة، دار الثقافة،1405 هـ1985م).

67- قطب : سيد

• مقومات التصور الإسلامي، ط4،(القاهرة ، دار الشرق ، 1414هـ 1993م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

68- ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ت751هـ).

- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، تحقيق عصام فارس الخراساني ، ط1، (بيروت لبنان ، المكتبة الثقافية ،1994م).

69- العاملي: محمد برو

- الكتاب المقدس في الميزان ، ط3 ، (بيروت ، الدار الإسلامية ، 1993م).

70- عبد الجبار: القاضي أبو الحسين الأسدآبادي (ت 415هـ)

- تثبيت دلائل النبوة ، تحقيق عبد الكريم عثمان ، دط ،(بيروت ، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ،1996م).
- المغني في أبواب العدل والتوحيد ، تحقيق محمود محمد الحضري ،مراجعة إبراهيم مذكور ، إشراف طه حسين ، (الدار المصرية للتأليف والترجمة ،دت).

71- عبد الله : محمد حسن

- مقدمة في النقد الأدبي ، دط ، (الكويت ، دار البحوث العلمية ، 1985م).

72- عبد المعطي : علي ، ومحمد السرياقوسي

- أساليب البحث العلمي، ط1، (بيروت، مكتبة الفلاح ، 1408هـ- 1988م).

73- عبد الملك : بطرس ، جون ألكسندر طمس ، إبراهيم مطر

- قاموس الكتاب المقدس ، ط10 ،(دار الثقافة بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين بالشرق الأوسط ، 1995م)

74- العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر (ت 852هـ)

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري،تحقيق وتصحيح عبد العزيز بن عبد الله بن باز. دط، (بيروت ، دار المعرفة ،دت).

75- عطار : عبد الغفور أحمد

- الديانات والعقائد في مختلف العصور ، دط ،(مكة المكرمة ،1981م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

76- علي: سيد أمير

• روح الإسلام ، ترجمة عمر الديراوي ، ط1 ،(بيروت ، دار العلم ، 1961م).

77- عوض : إبراهيم.

• مع الجاحظ في الرد على النصارى ، دط ، (القاهرة ، مكتبة زهراء ،1419هـ-1999م).

78- الغزالي : أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد (ت520هـ)

• الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، ط2 ، (القاهرة ، دار الهداية ،1986م)

79- كارليل : توماس

• الأبطال ، ترجمة محمد السباعي ، ط3 ،(مصر، المكتبة المصرية،الأزهر ، 1930م).

80- كرد : محمد علي

• أمراء البيان ، ط2 ،(القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ،1367هـ1948م).

81- كوبيت : دون ، ميكائيل جولد ، جون هك

• أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح ، تحرير جون هوك ، ترجمة نبيل صبحي ، الكويت ، دار القلم ، 1985م).

82- كوربان : هنري

• تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ترجمة نصير مروة ، حسن قبيسي ، مراجعة موسى الصدر ، عارف تام ، ط2 ،(بيروت ، منشورات عويدات ،1999م)

83- المسعودي : أبو الحسين علي بن الحسين بن علي (ت346هـ)

• مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دط،(بيروت، دار المعرفة ، دت).

84- مسلم : أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت261هـ)

• صحيح مسلم ، تحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي ، ط2 ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، دت).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

85- المقريزي : أبو العباس تقى الدين أحمد بن علي (ت845هـ)

• المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دط ،(القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، دت).

86- ابن منظور : أبو الفضل محمد بن مكرم (ت711هـ)

• لسان العرب ، دط، (القاهرة ، دار المعارف ، دت).

87- مونسما : جون كنوفر

• الله يتجلى في عصر العلم ، ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان ، مراجعة جمال الدين الغندي، ط4، (القاهرة ، الجمعية المصرية ، 1986).

88- نبيه : محجاب محمد

• بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط5،(القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، 1996م).

89- النجار : نهى

• موسوعة الأديان السماوية والوضعية - الديانة المسيحية - ط1 ، (بيروت لبنان ، دار الفكر اللبناني ،1995م).

90- الندوي : أبو الحسن

• ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ط9 ، (الكويت ، دار القلم ،1993م).

91- ابن النديم : أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت438هـ)

• الفهرست ، تعليق الشيخ إبراهيم رمضان ، ط5 ،(بيروت لبنان ، دار المعرفة ،1415هـ-1994م).

92- النشار : علي سامي

• نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ط7 ،(دار المعارف ،1977م).

93- ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن أيوب المعافري (ت213هـ)

• سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم - ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار الفكر ، دت).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

94- وافي : علي عبد الواحد

• الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، دط ، (الفجالة ، القاهرة ، دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر ، دت).

95- وجدي : محمد فريد

• دائرة معارف القرن العشرين ، دط ، (بيروت ، دار الفكر ، 1979م).

96- ياقوت الحموي: أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت626هـ)

• معجم الأدباء ، ط1 ،(بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية ، 1991م)

• معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، ط1 ، (بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية، 1410هـ1990م)

97- اليسوعي : توماس ميشال

• مدخل إلى العقيدة المسيحية، ترجمة كميل حشيمة اليسوعي، دط، (بيروت لبنان، دار المشرق، دت).

98- اليسوعي : صبحي حموي

• معجم الإيمان المسيحي ، ط1 ،(بيروت ، دار المشرق ، 1994م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: المراجع بالأجنبية

1. -Edwards chinera : les tablettes babyloniennes , (paris payot).

2. -GEORGES POSNER et autre : dictionnaire de la civilisation égyptienne (Paris , FENOUD HAZAN , 1959).

3. -RENEMETZ : HISTOIRE DES CONCILES (PARIS. PRESSES UNIVERSITAIRES DE France 1964).

4. -SAURAT DENIS , histoire de religion , (paris les éditions DONOEL et STELL 1993).

5. -S.E. le Cardinal HERGENDETHER , L'histoire de l'église.

6. ROYSTON PIKE .E : Dictionnaire des religions, adaptation française : Serge Hutin (PARIS : presse universitaire de France 1954).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا: الدوريات

i – هدى : شوكت بهمان

الموروث الجاحظي مخطوطا ومطبوعا ، مـــجلة المورد ، دط ، (بغداد ، دار الجاحظ ، 1978م).

2- زيتون : عادل

آل بختشوع النساطرة في البلاط العباسي ، مجلة عالم الفكر ، (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، العدد 29 ، 2001م).

3- عزية : طه

التثبت في قبول الأخبار في رسالات السماء ، (مجلة الشريعة والدراسات القرآنية ، جامعة الكويت ، السنة السادسة ، العدد 156 ، 1410هـــ- 1989م).

4- محمد بوالروايح :

منهج القرآن في نقد الأديان ، رسالة ماجستير في العقيدة ومقارنة الأديان ، (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 1415هـــ -1994م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الإهداء

مقدمة

الفصل الأول : عصر الجاحظ وحياته.....1

تمهيد 2

المبحث الأول : عصره 4

أ- الحالة السياسية 4

ب- الحالة الإجتماعية والإقتصادية 7

جـ- الحالة العلمية 8

المبحث الثاني : حياته 11

نسبه 11

مولده 11

نشأته وثقافته 12

علاقته بالسلطة السياسية 13

مؤلفاته 14

وفاته 16

الفصل الثاني : منهج الجاحظ في الرد على المصادر المسيحية 17

المبحث الأول : مدخل إلى منهج الجاحظ 18

المبحث الثاني : الأناجيل تاريخها ومصادرها 26

إنجيل متى 30

إنجيل مرقس 31

إنجيل لوقا 32

إنجيل يوحنا.....32

المبحث الثالث : رد الجاحظ على المصادر المسيحية 32

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول : نقد الجاحظ لسند الأناجيل 32
المطلب الثاني : نقد الجاحظ لمتن الأناجيل 41
الفصل الثالث : منهج الجاحظ في الرد على عقيدة التثليث 50
تمهيد 51
المبحث الأول : الأصول التاريخية والخلاف العقدي حول التثليث 51
المطلب الأول : الأصول التاريخية لعقيدة التثليث 51
المطلب الثاني : الخلاف العقدي حول التثليث 55
1- مجمع نيقية 56
2- مجمع القسطنطينية الأول 57
3- مجمع أفسس 57
4- مجمع خليقدونية 58
المبحث الثالث : رد الجاحظ على عقيدة التثليث.....60
أ- نقد الجاحظ لمفهوم الألوهية 62
ب- نقد الجاحظ دعوى النصارى بنوة عيسى لله.....66
جـ- نقد الجاحظ قول النصارى أن عيسى روح الله وكلمته 71
الفصل الرابع : منهج الجاحظ في الرد على المسيحولوجيا النصرانية 75
المبحث الأول : منهج الجاحظ في الرد على عقيدة التجسيد 76
تمهيد.....76
المطلب الأول:الأصول التاريخية لعقيدة التجسيد.....78
المطلب الثاني : أنواع المسيحولوجيا.....82
1- المسيحولوجيا الملكية 82
2- المسيحولوجيا النسطورية 83
3- المسيحولوجيا اليعقوبية 83
المطلب الثالث : رد الجاحظ على عقيدة التجسيد 84

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني : منهج الجاحظ في الرد على عقيدة الصلب والفداء 92
تمهيد 92
المطلب الأول : الأصول التاريخية لعقيدة الصلب والفداء 92
المطلب الثاني : الخلاف العقدي حول الصلب والفداء 94
المطلب الثالث : رد الجاحظ على عقيدة الصلب والفداء 96
خاتمة 106
الفهارس 109
فهرس الآيات القرآنية.....110
فهرس العهد الجديد 112
فهرس الأحاديث 114
فهرس الأعلام 115
فهرس الأماكن والبلدان 118
فهرس الفرق 120
فهرس المصادر والمراجع 121
فهرس الموضوعات 136

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية